

VOL, 1 NO, 2. 2015

Journal
of Islamic Studies & Thought for Specialized Researches

Head of the journal

Professor Dr Engku Ahmad Zaki Engku Alwi,

Editor-In-Chief

Dr. Mohamed Fathy Mohamed Abdelgelil

e-ISSN: 2289-9065

Contact:

jistsr.siats.co.uk \ Email:
jistsr@siats.co.uk

Contact us

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Research (JISTSR)

Mohamed Fathy Mohamed Abdelgelil Editor-in-Chief: mailto:jistsr@siats.co.uk

http:// jistsr.siats.co.uk



SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches (JISTSR)

jistsr.siats.co.uk \ Email: jistsr@siats.co.uk

WhatsApp: 0060178330229



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد 1 ، العدد 2 ، 2015م.

e-ISSN: 2289-9065

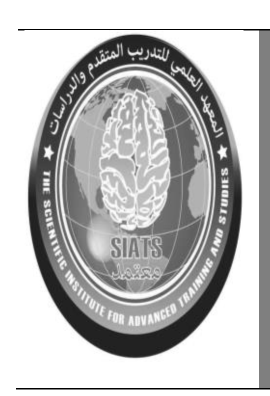
2015م

مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للأبحاث التخصصية

مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للأبحاث التخصصية، مجلة تعمل في ميدان الإصلاح الفكري والمعرفي، بوصفه واحداً من مرتكزات المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر.

تسعى المجلة لأن تكون مرفأً للعلماء والمفكرين والباحثين وجمهور المثقفين للعمل الجّاد على إصلاح الفكر والمنهجية الإسلامية على مستوى الأمة، متجاوزة حدود اللغة والإقليم، خدمة للإنسانية أجمع، سعياً لتحقيق هدف أكبر يتمثل في ترقية مستويات الفكر الإنساني على الصعيد العالمي.

تستهدف مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للأبحاث التخصصية، الأبحاث العلمية ذات الجودة العالية بغية تقديم مادّة علمية متقنة؛ مفيدة للباحثين والمثقفين والمتخصصين، لتشكّل مرجعية علمية يُعتد بها في مسيرة تحقيق رؤيتنا المذكورة، وتتعهد إدارة المجلة بالتواصل مع الباحثين والكتّاب من مختلف المشارب والتيارات لترقية أبحاثهم ومقالاتهم دعماً منها للحركة العلمية والجهود الفكرية في مجال إصلاح وترقية منظومة الفكر الإنساني.



SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث

التخصصية

العدد 2، المجلد 1، تموز، يوليو 2015م.

e-ISSN: 2289-9065

THE LEGITIMACY OF WOMEN'S ADVOCACY WORK IN THE LIGHT OF THE HOLY QURAN AND SUNNAH

مشروعية العمل الدعوي النسائي

في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

د. نجم عبد الرحمن خلف

الأستاذ المشارك بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية

تغريد عيسى محمود صيداوي

الجامعة الوطنية الماليزية

tagreed.teacher@gmail.com

1436هـ – 2015م



ARTICLE INFO
Article history:
Received 18/2/2015
Received in revised form 20/3/2015
Accepted 1/4/2015
Available online 15/7/2015

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The issue of calling to God is not a private affair for a limited class of people and is not restricted to one without the other. So that, this research comes to show the legitimacy of the action of female lawsuit in the light of Qur'an and Sunnah. The research has included a number of themes, the most important of which is the work of female lawsuit linguistically and idiomatically, in addition to the legality of the women lawsuit action. The two researchers identify that the evidences to female advocacy comes in the light of Quran and Sunnah, in three sections: The first section includes general evidences including male and female. The second section includes explicit evidences about the involvement of women and men in carrying out the call to God. The third section includes Qur'anic verses that address women in particularly and directly as an order to practice calling to God.

The researchers cited the most important justifications and reasons for assigning Muslim women to practice calling to God. Then, they ended their research with reference to several practical examples of women advocates, so to be a model their own kind who have chosen the path of calling to God.



الملخص

إن قضية الدعوة إلى الله تعالى ليست شأنا خاصا لفئة محدودة من الناس، وليست حكرا على أحد دون آخر؛ لذلك جاء هذا البحث ليبين مشروعية العمل الدعوي النسائي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد اشتمل البحث على عدة محاور، أهمها: تعريف العمل الدعوي النسائي لغة واصطلاحا، ومشروعية العمل الدعوي النسائي، حيث بين الباحثان أن أدلة الدعوة بالنسبة للمرأة جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية على ثلاثة أقسام، القسم الأول: أدلة عامة تشمل الذكر والأنثى، القسم الثاني: أدلة صريحة في إشراك المرأة مع الرجل في القيام بالدعوة إلى الله، القسم الثالث : آيات جاءت تخاطب النساء بشكل صريح ومباشر بأمر الدعوة إلى الله، وقد أورد الباحثان أهم المسوّغات والأسباب لتكليف المرأة المسلمة بالدعوة إلى الله، ثم ختما بحثهما بالإشارة إلى عدة نماذج عملية من النساء الداعيات، ليكن قدوة لبنات جنسهن اللواتي اخترن السير على طريق الدعوة إلى الله.

التمهيد:

إن قضية الدعوة إلى الله تعالى ليست شأنا خاصا لفئة محدودة من الناس، ولكنها من القضايا المركزية لهذه الأمة، فنحن أمة رسالتها الأساسية في هذه الحياة هداية الخلق ونشر أعلام الحق والعدل والخير، وتعبيد الناس لقيوم السماوات والأرض، كما أن إصلاح المجتمعات الإسلامية وتخليصها من حالة الوهن والغثائية، من الهموم العامة لمعظم أبناء أمة الإسلام على اختلاف طبقاتهم وأوضاعهم. والعمل الدعوي النسائي ينبغي أن لا ينفك أبدا عن الدعوة بمفهومها العام، وإن كان المصطلح مصطلحا جديدا من حيث التركيب والاستعمال، إلا أنه قديم من حيث المضمون والدلالة، حيث أن العمل الدعوي النسائي ثبتت مشروعيته بالكتاب الكريم والسنة المطهرة، وسجل له تاريخ الإسلام مناهج وتطبيقات مختلفة على مر العصور، ويناقش هذا الباب تعريف العمل الدعوي النسائي، ومشروعيته وأهميته،ومجالاته، وأشكاله.

تعريف العمل الدعوي النسائي لغة:

الدعوة لفظ غني بالمعاني اللغوية، (دعا) بالشيء–دعوا، ودعوة، ودعاءً، ودعوى: طلب إحضاره. يقال: دعا بالكتاب والشيء إلى كذا: احتاج إليه ودعا إلى الشيء: حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال ،ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حثه على اعتقاده[1].(والداعية):الذي يدعو إلى دين أو فكرة. (والدعاء) بالضم ممدودا: الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير، والابتهال إليه بالسؤال.

[1] انظر: مجمع اللغة العربية ، *المعجم الوسيط*، مادة (دعو– ى) ، ج1: ص296–297.



والدعوة مأخوذة من الدعاء وهو النداء لجمع الناس على أمر وحثهم على العمل له، كما يتضح من قوله عز وجل:(وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ).[2]

ودعاه : صاح به، والمصدر دعوة.

وداعية اللبن : ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده.[3]

ويتضح لنا أن مفهوم الدعوة من مدلولها اللغوي أنها نداء وصيحة، وطلب على شيء أو الاشتراك فيه .

ومما سبق نرى أن كلمه دعوة تفيد لغويا المحاولات القولية والفعلية من أجل تحقيق هدف أو عمل.

تعريف العمل الدعوي النسائي اصطلاحا:

وأما في الاصطلاح فقد ذكر العلماء تعريفات كثيرة للدعوة منها :

أ–"جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر" .[4]

والدعوة بهذا المفهوم موجهة إلى المسلمين بصفة خاصة، لحثهم على أعمال الخير كافة.

ب– الدعوة إلى الله: "الدعوة إلى دينه وهو الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم".[5]

والدعوة بهذا المفهوم يقصد بها الدعوة الموجهة لغير المسلمين بهدف نشر الدين الإسلامي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

ت_ "الدعوة إعلام الناس بدين الله تعالى، وحثهم على التمسك بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإيمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".[6]

والدعوة بهذا المفهوم تجمع بين دعوة غير المسلمين لدين الله تعالى ودعوة المسلمين للتمسك بهذا الدين والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

[2]القرآن الكريم، *سورة يونس* 25:10.

[3] الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، 1420هـ، 1999م، *مختار الصحاح* ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد،ط.5، بيروت: المكتبة العصرية– الدار النموذجية، ، مادة (دعا)، ص552 .

[4]الوكيل. محمد السيد،1412هـ،1994م، *أسس الدعوة و آداب الدعاة*، ط3، مصر: دار الوفاء، ص9.

[5]زيدان، عبد الكريم،1421هـ،2000م، *أصول الدعوة*، ط9، بيروت : مؤسسة الرسالة، ص5.

[6] بريغش، محمد حسن، 1423هـ، المرأة الداعية والأسرة المسلمة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص13.



ث-الدعوة هي : "العلم الذي به تُعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق".[7]

فالدعوة في هذا المفهوم هي علم الدعوة بأصوله وقواعده ومناهجه التي أصل لها العلماء وصنفوا فيها كتبهم بهدف تبليغ رسالة الإسلام للناس كافة.

ج- الدعوة: " تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة".[8]

والدعوة بهذا المفهوم تشمل مراحل الدعوة الثلاث: مرحلة التبليغ ومرحلة التعليم ومرحلة التطبيق، وهي دعوة موجهة إلى جميع الناس مسلمين وغير مسلمين.

ح- العمل الدعوي:"هو كل جهد مبذول من قول أو فعل يقصد به دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بفعل الطاعات، وترك المنهيات، والتحلي بالفضيلة، والبعد عن الرذيلة، ونشر العدل، ومنع الظلم والفساد، باتباع الحق ونبذ الباطل".[9]

وهذا التعريف يشتمل على وسائل وأهداف العمل الدعوي بشكل أساسي.

وقبل اختيار التعريف المختار لهذه الدراسة،لا بد من التنبيه على أن هذه التعاريف التي ذكرت كلها صحيحة ولا تناقض فيما بينها ولا اختلاف لأن كل واحد منها يستلزم أو يتضمن ما في التعريف الآخر، وأن الاختلاف فيما بينها هو اختلاف في الألفاظ لا في المعاني التي يبرزها هذا التعريف دون ذاك، وهذا القدر من الاختلاف لا يؤثر في وحدة مضمون التعاريف ودلالتها.

أما الدعوة النسائية أو العمل الدعوي النسائي فإن الكتب التي تحدثت عن موضوع الدعوة لم تفرق بين أقسام الدعوة - الرجالية والنسائية- على اعتبار أن الدعوة النسائية هي جزء من الدعوة بشكل عام إلا أن هناك دراسات حديثة قد خصت الدعوة النسائية بتعريف منفصل ومنها :

---

[7] غلوش، أحمد،1407هـ، *الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها*، ط2، القاهرة: دار الكتاب المصري، ص10.

[8] البيانوني، محمد أبو الفتح، د.ت، *المدخل إلى علم الدعوة*، د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص17.

[9] أحمد، فايزة، د.ت، *العمل الدعوي النسائي في مكة المكرمة أنموذجا حقائق و آفاق*، https://uqu.edu.sa، 8-9-2013م.



الدعوة النسائية:"كل نشاط فردي أو جماعي تقوم به النساء المسلمات بهدف نشر الدين الإسلامي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفعة المجتمع المسلم".[10]

إلا أن هذا التعريف قد اقتصر عملية الدعوة إلى الله على المجتمع المسلم فقط .

التعريف المختار: وبناء على ما تقدم يمكن تعريف العمل الدعوي النسائي أو الدعوة النسائية على النحو التالي :" **كل جهد مبذول من قول أو فعل فردي أو جماعي تقوم به النساء المسلمات بهدف نشر الدين الإسلامي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الناس أمور دينهم وتطبيقه في واقع حياتهم للوصول إلى نهضة الأمة ورفعتها**".

والنساء جمع امرأة، حيث يجمع لفظ امرأة على ثلاثة أوجه:

النسوة : بالكسر والضم، والنساء، والنسوان، والجمع بهذه الصورة جمع للمفرد من غير لفظه كما هو الحال في جمع (ذلك) بلفظ (أولئك)، فتكون النسوة والنساء اسما لجماعة الإناث، وقيل : النسوة بكسر النون أفصح من ضمها، وينسب إلى نساء فيقال : نسائي، وإلى نسوة فيقال: نسوي، وقيل النساء جمع نسوة إذا كثرن.[11]

فالنسبة إلى جماعة الإناث يصح فيها نسائي ونسوي، إلا أن الصيغة التي تم استخدامها في هذه الدراسة هي صيغة(نسائي)، وذلك للأسباب التالية:

أ- انتشار استخدام هذه الصيغة في مسميات الجمعيات والمؤسسات الدعوية باعتبار أن القائمات على العمل الدعوي فيها هن من النساء، فيقال: المؤسسة النسائية، والفرع النسائي، واللجنة النسائية، حيث أن الدعوة تنسب إلى موضوعها وهو الإسلام فيقال: الدعوة الإسلامية، أو تنسب إلى الداعي: فيقال الدعوة النسائية أو العمل الدعوي النسائي

ب- إن صيغة (نسوي) أصبحت تستخدم في مصطلح " الحركة النسوية"، وقد ذاع استخدم هذا المصطلح كترجمة لمصطلح feminism في اللغة الانجليزية، على الرغم من أن ترجمة هذا المصطلح إلى "الأنثوية" هو اقرب لتركيب المصطلح الأصلي، إلا أن الدراسات الحديثة قد اختارت استخدام صيغة النسوية.

---

[10] بولوط، شيماء خير الدين حسين، 2009م، *دراسة مقارنه للجهود الدعوية النسائية في كل من المدينة المنورة وكوالالمبور*، بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراة في الدراسات الإسلامية، كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية الماليزية، بانغي، ص25.

[11] انظر مادة (نسا) في المعاجم التالية: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، 1415هـ ، *مختار الصحاح*، تحقيق محمود خاطر، بيروت: مكتبة لبنان، ج1: ص247، والفيومي، د.ت، *المصباح المنير*، ج2: ص604، وابن منظور: د.ت، ج15، ص321.



وفي حين كانت هذه النسوية تعرف في الماضي بأنها: "حركة اجتماعية تطالب بحصول المرأة على المساواة مع الرجل في الحقوق السياسية والاقتصادية " ، فقد تطور تعريفها اليوم لتصبح: " منظومة فكرية، أو مسلكية مدافعة عن مصالح النساء وداعية إلى توسيع حقوقهن، وهي انتزاع وعي فردي ثم جمعي، متبوع بثورة ضد موازين القوى الجنسية والتهميش الكامل للنساء في لحظات تاريخية محددة ولذا جاء اختيار صيغة " النسائي" في هذه الدراسة بدلا من " النسوي" للبعد عن مصطلح النسوية وإطارها الاصطلاحي الجديد.[12]

ولا بد من التنبيه على أن نسبة العمل الدعوي إلى النساء في هذه الدراسة، إنما هي باعتبار كون القائم بالعمل الدعوي من النساء، وليس باعتبار كون الجمهور المتلقي للدعوة من النساء، فهو من باب نسبة الدعوة إلى الداعي، فلا يشترط في العمل الدعوي النسائي أن يكون الجمهور المدعو من النساء.

مشروعية العمل الدعوي النسائي :

الدعوة إلى الله هي وظيفة رسل الله جميعا، ومن أجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس، والأمة شريكة لرسولنا صلى الله عليه وسلم في وظيفة الدعوة إلى الله، فقد قال الله تعالى عن رسوله : (يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ).[13]

وقال تعالى عن أمته:(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ).[14] فقد وصف الله تعالى الأمة الإسلامية بما وصف به رسوله صلى الله عليه وسلم.[15]

لقد فهم المسلمون الأوائل رضي الله عنهم هذا المعنى، فلم يفرقوا بين دعوة الرجال ودعوة النساء، بل اعتبر كل واحد منهم نفسه شريكا مع رسوله صلى الله عليه وسلم في واجب الدعوة إلى الله، كل بما يتناسب مع قدراته وطبيعته وفطرته ومجال حياته.

فمنذ فجر الدعوة الإسلامية، ومع ابتداء تنزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، كانت المرأة المسلمة شريكة الرجل المسلم وشقه الآخر في الإيمان بالرسالة، والدعوة إليها وتحمل المشاق في سبيلها، والجهاد لنصرتها والدفاع عنها،

[12] انظر: بولوط، 2009م، ص24-25.

[13] القرآن الكريم، *سورة الأعراف*، 7:157.

[14] القرآن الكريم، *سورة آل عمران*، 3:110.

[15] انظر: زيدان، 1421هـ، 2000م، ص308،309.



وبرزت في السيرة أسماء مشرقة للكثير الكثير من النساء المؤمنات المجاهدات الصابرات، اللائي كان لهن أثر كبير في مسيرة الدعوة وجهادها، نذكر منهن على سبيل المثال لا الحصر: أمهات المؤمنين، زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهن خاصة السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأم المؤمنين أم سلمة، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهن جميعا، وبعض الصحابيات الأخريات مثل أم شريك، ونسيبة بنت كعب المازنية، وصفية بنت عبد المطلب، وأم سليم وغيرهن كثير رضي الله عنهن جميعا.

ولأن الدعاة الرجال قد نالوا في زمننا هذا قصب السبق في الدعوة إلى الله بالسنان واللسان، الأمر الذي أدى إلى فهم بعض النساء، أن الدعوة إلى الله تعالى هي واجب يختص به رجال الأمة دون نسائها، جاءت هذه الدراسة لتبين حكم الدعوة إلى الله بالنسبة إلى النساء.

وقد تبين من خلال الأدلة الشرعية من كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن خلال أقوال مجموعة من علماء المسلمين وآرائهم، حكم الدعوة للمرأة المسلمة، فقد جاءت أدلة الدعوة بالنسبة للمرأة في القرآن الكريم والسنة النبوية على ثلاثة أقسام: [16]

القسم الأول: أدلة عامة تشمل الذكر والأنثى:

أ- قوله تعالى:(قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ). [17]

ولفظ(من) في قوله تعالى :(ومن اتبعني)عام يشمل الذكر والأنثى، قال الشوكاني في تفسير الآية: "وفي هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله، أي الدعاء إلى الإيمان به وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده". [18]

ب- قوله تعالى:(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ). [19]

---

[16] انظر: الواعي، توفيق يوسف، 1412هـ، *النساء الداعيات*، ط2، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ص41-45.

[17] القرآن الكريم، *سورة يوسف*، 108:12.

[18] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، د.ت، *فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير*، د.ط، بيروت: دار الفكر، ج3: ص59.

[19] القرآن الكريم، *سورة آل عمران*، 110:3.



وضمير المخاطب في قوله تعالى:(كنتم) عام يشمل الذكر والأنثى، قال ابن كثير في تفسير الآية:" فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح".[20]

ت-قوله تعالى:(وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ).[21] ولفظ (مِنْ) في قوله تعالى: (مِنْكُمْ) عام يشمل الذكر والأنثى.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على فرد من الأمة بحسبه"[22]

ث-عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).[23]

ولفظ (من) في قوله صلى الله عليه وسلم (منكم) عام يشمل الذكر والأنثى .

القسم الثاني: صريح في إشراك المرأة مع الرجل في القيام بالدعوة إلى الله:

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.[24]

فالمؤمنون والمؤمنات يتناصرون ويتعاضدون، ويأمرون بالمعروف أي يأمرون بعبادة الله عز وجل وتوحيده وكل ما أتبع ذلك، وينهون عن المنكر أي ينهون عن عبادة الأوثان وكل ما أتبع ذلك، وهذا هو مقتضى الدعوة إلى الله عز وجل[25].

---

[20] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، 1401هـ، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق:أحمد يوسف الدقاق، د.ط، بيروت: دار الفكر، ج1: ص397.

[21] القرآن الكريم، *سورة آل عمران*، 3: 104.

[22] القرطبي، أبو عبد الله محمد، 1372هـ، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق:أحمد عبد العليم البردوني، د.ط، القاهرة: دار الشعب، ج1:ص391.

[23] أخرجه مسلم، أنظر: مسلم، أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري، د.ت، *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، كتاب:(الإيمان)، باب (بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان)، حديث رقم 49، ج1: ص69.

[24] القرآن الكريم، سورة التوبة، 9:71.

[25] انظر تفسير الآية *لابن كثير*،1401هـ، ج2: ص370، وكذلك: *القرطبي*،1372هـ، ج8: ص203.



القسم الثالث: آيات جاءت تخاطب النساء بشكل صريح ومباشر بأمر الدعوة إلى الله :

أ- قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)[26]

فهذه" بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء على القيام بأمر المنهج وحمل الدعوة والاستقامة عليها وتنفيذ تعاليمها".[27]

ب- قوله تعالى: (وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا).[28]

فهذا أمر مباشر بالتبليغ والإعلام عما يتلى في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم لنسائه خاصة - رضي الله عنهن جميعا - ولنساء المسلمين عامة.[29]

حيث أن ما كان يتلى في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم سوى القرآن الكريم الذي يجب على المرأة المسلمة أن تبين أحكامه وتدعو إلى ما دعا إليه، وكذلك آداب الإسلام الرفيعة وتعاليمه السمحة التي يجب على المرأة المسلمة أن تحث المجتمع على تطبيقها، وما هذا كله إلا مضمون الدعوة إلى الله التي أمر الله المسلمين بالقيام بها.

ج- قوله تعالى:(يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا).[30]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "هَذِهِ آدَابٌ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا نِسَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنِسَاءُ الْأُمَّةِ تَبَعٌ لَهُنَّ فِي ذَلِكَ...وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: (وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً): قَوْلًا حَسَنًا جَمِيلًا مَعْرُوفًا فِي الْخَيْرِ"[31]

---

[26] القرآن الكريم، *سورة الممتحنة* 12:60.

[27] الواعي، توفيق يوسف، 1412هـ، ص45.

[28] القرآن الكريم، *سورة الأحزاب*، 33:34.

[29] انظر: كردي، أحمد، 3يوليو 2010م، *المرأة المسلمة في مجال الدعوة*، مجلة البشرى، www.kenanaonline.com 2012.8.10م .

[30] القرآن الكريم، *سورة الأحزاب*، 33:32 .

[31] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، 1419هـ، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية ، ج6: ص363.



فدل ذلك على أن الخطاب موجه إلى نساء النبي خاصة ونساء المسلمين عامة، ذلك أن نساء النبي –رضي الله عنهن جميعا – هن قدوة لنساء المسلمين في أفعالهن وأقوالهن، الأمر الذي يحتم على المرأة المسلمة تباعهن في أمرهن بالمعروف ونهيهن عن المنكر اللذان هما ركيزتان أساسيتان في الدعوة إلى الله.

وبعد استقراء الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يتبين أن الدعوة إلى الله واجبة على المرأة المسلمة كما هي واجبة على الرجل. " حيث أن القاعدة في واجبات المرأة كالقاعدة في حقوقها، فهي فيها كالرجل إلا فيما يختلفان فيه مما هو مناط التكليف".[32]

وقد دل على ذلك بالإضافة إلى الأدلة السابقة شهادة عدد من العلماء المسلمين المعاصرين منهم:

أ- يقول الشيخ بن باز: " المرأة كالرجل عليها الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن النصوص من صريح القرآن الكريم، والسنة المطهرة تدل على ذلك، وكلام أهل العلم صريح في ذلك فعليها أن تدعو إلى الله، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بنفس الآداب الشرعية التي تطلب من الرجل ".[33]

ب- يقول الواعي نقلا عن الدكتور يوسف القرضاوي: "المرأة إنسان مكلف مثل الرجل، مطالبة بعبادة الله تعالى، وإقامة دينه، وأداء فرائضه واجتناب محارمه، والوقوف عند حدوده، والدعوة إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".[34]

ت-يقول الدكتور مصطفى مشهور: "الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم ومسلمة في كل زمان، وفي زماننا هذا أوجب لما تتعرض له الأمة الإسلامية من هجمات شرسة من أعداء الله بقصد سلب جوهر الدعوة الإسلامية من نفوس المسلمين ".[35]

---

[32] زيدان، عبد الكريم،1421هـ، 2000م ،ص126.

[33] الشويعر، محمد بن سعد، 1413هـ، *مجموع فتاوى ومقالات متنوعة*، د.ط، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ج4: ص 240 .

[34] الواعي، 1412هـ، ص198.

[35] مشهور، مصطفى، 1415هـ، 1995م ، *من فقه الدعوة*، ميدان السيدة زينب: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ج1: ص 327 .



د- ويقول الدكتور عمر يوسف حمزة: " وعلى المرأة المسلمة العاقلة الحكيمة أن تجهر بالحق ... وتدل بنات جنسها على الطريق الصحيح الذي ينبغي عليهن سلوكه، مثل هذا العمل سيمهد لقيام حركة نسائية بناءة تخدم أمتنا الإسلامية أجل خدمة".[36]

وبعد استقراء آراء العلماء، يتبين أن الإسلام أعطى المرأة حق الدعوة إلى الله وساواها في الأجر مع الرجل، وأن العمل الدعوي ليس حكرا على ذكور الأمة دون إناثها، بل هو واجب على المرأة كما هو واجب على الرجل أيضا.

أهمية العمل الدعوي النسائي:

يكتسب العمل الدعوي النسائي مكا

أسس انتشاره، وركن من أركان قيامه، فلولا الدعوة إلى الله ما قام دين، ولا انتشر إسلام، والمرأة المسلمة الواعية تدرك هدي دينها بأن الإنسان لم يخلق في هذه الدنيا عبثا، و إنما خلق ليؤدي رسالة ويحمل أمانة، ويقوم بفريضة، هي عبادة الله عز وجل.

"وعبادة الله تتمثل في كل حركة من حركات الإنسان الإيجابية البنّاءة لإعمار الكون، وتحقيق كلمة الله في الأرض، وتطبيق منهجه في الحياة، وهذا كله من الحق الذي يجب على المسلمين والمسلمات أن يدعوا الناس إليه".[37]

وهي بذلك تكون ممن شرفوا بالمكانة العظيمة التي احتلها الدعاة على مرّ العصور، إذ هم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم الذي لم يورث دينارا ولا درهما، وإنما ورّث رسالة ودعوة هي خاتمة الرّسالات، وأرقى الدّعوات، فتكون المرأة بقيامها بالعمل الدعوي ممن وصف بأجلّ الأوصاف وأحسنها في كتاب الله عزّ وجلّ حيث قال : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)[38]

وتكون ممن شملهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين).[39]

---

[36] حمزة، عمر يوسف ، 1425هـ-1995م، *من قضايا المرأة في الإسلام*، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ص50

[37] الهاشمي، محمد علي، 1422هـ، 2001م، *شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة*، ط4، دار البشائر الإسلامية ، ص 457.

[38] القرآن الكريم، *سورة فصلت*، 33:41.

[39] أخرجه البيهقي، أنظر: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، 1424هـ، 2003م، *السنن الكبرى*، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط.3، بيروت: دار الكتب العالمية،كتاب:جماع أبواب من تجوز شهادته، باب:(الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث...)، حديث رقم20911، ج10: ص353، ، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، ط3، بيروت: المكتب الإسلامي،كتاب العلم، الفصل الثاني، حديث رقم 248، ج1: ص82.



وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ).[40]

وإذا كانت المرأة المسلمة قد كلفت شرعا بالقيام بالدعوة إلى الله، فإن ذلك التكليف مبني على عدة مسوّغات وأسباب، فما هي المسوّغات والأسباب التي تجعل لقيام المرأة المسلمة بواجب الدعوة أهمية كبيرة؟

للإجابة على هذا السؤال تورد الدراسة الأسباب التالية:

أ-إن العمل الدعوي النسائي هو جزء من العمل الدعوي الإسلامي، ويجب تفعيله ليوازي العمل الرجالي الإسلامي، على اعتبار أن المرأة والرجل يمثلان جناحي العمل الإسلامي والمجتمع كله .[41]

وهذا يعني أن عدم الالتفات إلى ضرورة العمل الدعوي النسائي يضعف العمل الدعوي الإسلامي، ويحصره في فئات معينة من المجتمع، مما يؤثر تأثيرا سلبيا على تقدم المجتمع ورفعته، الذي ما جاءت الدعوة إلا من أجل النهوض به في شتى المجالات والميادين، وبكل فئاته وشرائحه.

"إن المرأة المسلمة ليست مجرد قعيدة بيت، وحاضنة أطفال، ومدبّرة منزل فحسب، وإنما هي بالإضافة إلى هذا كله، مربية أجيال، وصانعة أبطال، ورائدة دعوة، وعنصر وعي ونهضة وبناء في شتى شؤون الحياة، تقف إلى جانب الرجل في إعمار الكون، وإثراء الحياة، وإسعاد الوجود، وترطيب جفاف العيش".[42]

ب-الحاجة الماسّة للدعوة في مجتمع النساء؛ حيث أن المرأة في الغالب أقدر من الرجل على البيان والتبليغ في الأوساط النسائية، نظرا لتجانس الظروف، وتوحّد الجنس، وكذلك فإن المرأة الداعية تستطيع أن تميّز بين الأولويات في قضايا الدعوة النسائية، فتقدّم الأهم على المهم.

لقد نشأت في بلادنا ولا تزال تنشأ أجيال من النساء تشبعن بأفكار الغرب ولم يعرفن عن الإسلام إلا الشبهات، وقد حظيت مجموعات كبيرة منهن بالدعم الخاص والتشجيع غير المعهود للتلقي والدراسة في جامعات الغرب ومعاهده، ليعدن بعد ذلك رائدات للتحرر النسائي – بمعناه الغربي- وليستلمن المناصب القيادية في كثير من مؤسسات المجتمع

---

[40] الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، 1998 م، *الجامع الكبير*، *سنن الترمذي*، تحقيق: بشار عواد معروف،د.ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، أبواب العلم، باب:(ما جاء في الحث على تبليغ السماع)،حديث رقم 2657،ج4: ص331.

[41] انظر:العطاوي، فاطمة يعقوب، 2009م، *العمل النسائي الإسلامي في البحرين*.http://www.ikhwanwiki.com. 3-8-2013م.

[42] الهاشمي،1422هـ،2001م، ص488.



وليهدمن من عقائده وأخلاقه أضعاف الهدم الذي أحدثه من قبلهن، فهل تترك المرأة المسلمة الصادقة واجبها وتتخلى عن مكانها لتلك المرأة المتغربة تهدم وتفسد أم تبادر للإصلاح والبناء؟[43]

ت- المرأة الداعية لديها القدرة على التنبيه على الأخطاء الموجودة في المجتمع النسائي، سواء منها ما يتعلق بالعقائد أو العبادات أو السلوك، وذلك بسبب معايشتها له، وهذا ما لا علم لكثير من الرجال به[44]،

حيث أن وجود مثل هذه الأخطاء، وانتشارها في مجتمع النّساء، لا يؤثر فقط على النساء وحدهن، إنما يؤثر على المجتمع كله، ذلك أن المرأة قد تكون طاقة عظيمة للبناء، أو معول خطير للهدم، يقول صلى الله عليه وسلم: (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء).[45]

فالمرأة عندما لا تتقيد بمنهج الله، ولا تنطلق من شريعة الله، تكون سببا في سقوط الحضارات، وانهيار الأمم، ودمار المجتمعات، وقد أدرك أعداء الإسلام الدور الخطير الذي تلعبه المرأة في هدم المجتمع الإسلامي وقيمه، فبذلوا جهدهم في إفساد المرأة المسلمة، وفتنتها عن دينها بشتّى الوسائل والأساليب، ليسهل من بعد ذلك إفساد المجتمع كله بعد إفسادها، وما وضع المجتمعات الإسلامية اليوم إلا دليل واضح على نجاحهم فيما أعدوا له، فهل تترك المرأة المسلمة واجبها في دعوة أخواتها كي لا يكنّ فريسة للجهود التي تبذل ليل نهار لإبعادهنّ عن دينهنّ؟

ث- حاجة المجتمع النسائي إلى القدوات النسائية التي ترى النساء في هديها وسمتها، هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أن الدعوة بالقدوة من أنجع طرق الدعوة كما لا يخفى، فالتربية والدعوة بالسلوك أحياناً أفضل من ألف محاضرة وألف خطبة، فسلوك امرأة بين زميلاتها في حسن خلقها وآدابها ومظهرها وخبرها وطيب حديثها والتزامها بشريعة ربها وصلاحها لا بد أنه أفضل من الكلمات والمحاضرات، فإن مجال تأثّر المرأة بأختها، سواء بالقول أو بالفعل والسلوك، أكثر مما تتأثّر المرأة فيه بالرجل، حيث أن فعل المرأة الداعية، هو نفسه نوع من دعوة النساء.

" فعلى الداعية المسلمة أن تحرص على أن تكون الشعلة التي ستضيء الطّريق أمام النساء اللّواتي خدعهنّ زيف الحضارة الغربية، فكنّ ضحية لها".[46]

---

[43] انظر: ...، *دور المرأة في العمل الإسلامي*،http://www.ikhwanwiki.com ، 28-5-2013م.

[44] انظر: العيد، نوال بنت عبد العزيز، 2007م، *واقع الدعوة النسائية في المؤسسات الخيرية*، كتاب الكتروني، موقع نوال العيد،http:nawalaleid.com، 12-4-2013م.

[45] مسلم، د.ت،كتاب الرقاق، باب:(أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء) ، حديث رقم:2742، ج4: ص2098.

[46] انظر:خليل، فاطمة، 1424هـ،2003م، *دور المرأة المسلمة بين الأصالة والمعاصرة*، فلسطين: مطبعة النبراس الفنية، ص22



ج- إن مستجدّات العصر، والغزو الفكري، والحرب الإعلامية عبر الفضائيات وشبكات الإنترنت، والصحف والمجلّات وغيرها التي تستهدف الخراب والدمار لأبناء الأمة المسلمة عبر بوابة المرأة، يؤكد ضرورة العمل الدعوي للمرأة وتشجيعه ودعمه بكل الطاقات وشتى السّبل، للوقوف في وجه هذا التّيار المدمّر الذي اجتاح العالم الإسلامي عبر بوابة المرأة.[47]

وهكذا يتضح أن المرأة كانت هي المحور الرئيسي الذي هجم من خلاله أعداء الدين على ثوابتنا الإسلامية، ممّا يؤكّد على ضرورة أن تتحمّل المرأة المسلمة مسؤوليّة الدّفاع عن هذه الثوابت، لأنها صاحبة القضية، والمستهدفة من هذا الهجوم والغزو، فكما أن هناك نساء داعيات إلى الفكر المنحرف عن الإسلام، يجب أن يكون لدينا

نساء داعيات إلى الفكر الصحيح عن الإسلام، حتى لا ينفرد المجال لرأي واحد بعيدا عن الإسلام، فيضطر الجاهل والمقلّد إلى إتباع من لا يوجد غيره في السّاحة النسائية .

إن المرأة التي قد جعل أعداء الإسلام منها أداة إفساد وانحلال، نريد أن نجعل منها أداة إصلاح وبناء، تدعيما للقضية، ومحاربة للرذيلة.[48]

ح- ثم لا ننسى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح بالخير، لهو ركيزة أساسية من الركائز التي يعتمد عليها المجتمع المسلم.

حيث أن " ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحول دون نشر الأفكار الشاذة والخاطئة في أرجاء المجتمع، وتلجئها إلى أضيق طريق، كما أن الأخطاء تظل قابلة للتكرار والتوسع ما لم يجر التنبيه عليها بصورة دائمة".[49] ولا يخفى على أحد أهمية ممارسة الأمر بالمعروف وما ينتج عنه من صلاح للمجتمع، وأهمية النهي عن المنكر وما ينتج عن انعدامه من انتشار للتفكك والانحلال، حيث يصبح كل فرد يتصرف وفق هواه و وفق مصلحته، دون مراعاة للمصلحة العامة، مما يؤثر سلبا على المجتمع كله، بل إن من العلماء من اعتبر أن الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر هما الدعوة نفسها، ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله " وقد يتبين بذلك أن الدعوة نفسها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ...".[50]

---

[47] انظر: الصغير، فالح، الجمعة 16شوال 1420هـ، *العمل الدعوي للمرأة المسلمة*، جريدة الجزيرة، زاوية آفاق إسلامية، العدد: 12104.

[48] انظر: مشهور،1415هـ ،1995م،ج1: ص123.

[49] بكار، عبد الكريم، 1426هـ، 2005م ، *مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي*، ط3، دمشق، دار القلم، ص273.

[50] انظر: الحوشاني، عبد الله بن رشيد، 1417هـ، 1996م، *منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى*، الرياض: دار اشبيليا، ج1: ص52.



خ- ثم لا بد أن ندرك أن الأسرة المسلمة هي عماد المجتمع ونواته الأولى، والأم المسلمة هي عماد الأسرة، وصاحبة الدور الخطير في تنشئة الأجيال، واهتمام المرأة المسلمة بأسرتها، وتربيتها لأبنائها لهو حقل مهم من حقول الدعوة التي تباشرها.[51]

"إن كل محاولة لإحداث تحول اجتماعي مصيرها الخيبة ما لم تسبق بثورة على مستوى التربية العائلية، ولأن شخصية الفرد تكون خطوطها الأساسية في البيت حيث يقضي الطفل أيامه الأولى ملتصقاً شديد الالتصاق بأمه، فإن كل تحول حقيقي يصل بالمجتمع ينبغي أن يمر بالأسرة، وبالتالي بالعنصر الرئيسي فيها: المرأة".[52]

فكم هو عدد الأمهات في مجتمعاتنا اللّواتي عليهن مسؤولية تربية هذا الجيل، الذي ينتظر منه أن يسهم في نهضة الأمة ورفعتها، فكيف يتأتى له ذلك إن لم تكن الأم المسلمة على قدر هذه المسؤولية التي حمّلها إيّاها الشارع الحكيم، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).[53]

ومن خلال عرض هذه الأسباب التي تبين أهمية العمل الدعوي النسائي، لا بد من التأكيد على أن الآمال الكبار المنعقدة على المرأة المسلمة الواعية، لأداء رسالتها السّامية تجاه أمتها بشكل عام، وتجاه أسرتها وأخواتها النساء بشكل خاص، تتطلب منها مزيدا من إثبات شخصيتها، وتنمية قدراتها ومهاراتها، وزيادة وعيها وعلمها، لتكون مؤهّلة للمشاركة في تصويب ما شاب الأمة والمجتمع النّسائي والأسرة من عيوب ومنكرات، أدّت إلى تخلّف الأمة وتأخّر نهضتها.

داعيات قدوات:

لقد حمل المجتمع الإسلامي الأول عبء الدعوة إلى الله، وأعطى النموذج العملي الواضح على دور المرأة في مجال الدعوة، وتحمل كتب السيرة الكثير من أخبار الداعيات إلى الله، اللواتي أصبحن قدوات طيبة لمن جاء بعدهن،

---

[51] أنظر: أحمد، حنان إبراهيم الحاج، 2006م، *المرأة بين شرعية الدعوة و واقع الأسرة*، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة والقانون المنعقد بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية، غزة: فلسطين.

[52] انظر: ...، *دور المرأة في العمل الإسلامي*،www.ikhwanwiki.com ، 28-5-2013 م.

[53] البخاري، محمد بن إسماعيل، 1422هـ، *صحيح البخاري*، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، السعودية: دار طوق النجاة،كتاب الجمعة، باب:(الجمعة في القرى والمدن)، حديث رقم893، ج2: ص5.



فجزاهن الله خير الجزاء، ولا شك أن المرأة هي أصلح من يقوم بالدعوة في مجال النساء، لأنها أدرى بطبيعتهن، وظروفهن، ومشاكلهن وخصوصياتهن، وبالتالي تنجح بالوصول إلى قلوبهن ومعالجة أحوالهن ومتابعة أمورهن.

"والدعوة لها مجالات كثيرة، إنها ليست فقط كلمة في مسجد، أو خاطرة في لقاء، أو درسا في الجامع، ولكنها أيضا سلوك متكامل، وأخلاق عالية، ونصيحة غالية، وحب متدفق، وأخوة صادقة، وتفان في فعل الخير ، وصبر عند الشدائد، وتحمل وتجمل وصفاء ووفاء"[54].

والدعوة بهذا المفهوم متعددة المجالات واسعة الحركة، ممتدة التأثير، فقد لا تستطيع كل امرأة أن تلقي موعظة في الجامع، أو تشارك في ندوة ثقافية، أو تمارس الدعوة من خلال نشاط اجتماعي معين، لكن أن تكون المرأة المسلمة قدوة لغيرها في سلوكها وأخلاقها وتربيتها لذاتها وأبنائها، وفي علاقاتها مع من حولها، لهو مجال من أهم المجالات التي تستطيع أن تمارسه كل امرأة مسلمة حريصة على أن تسير في درب الدعوة والداعيات اللواتي كن خير قدوات لنا ولا زلن، حيث أن صلاح الداعية المؤمنة هو أبلغ دعوة توجهها إلى الناس ليحتذوا حذوها ويسيروا على منوالها، وخلق الداعية هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة و يجمع عليه القلوب.

" فالداعية الموفق الناجح هو الذي يدعو إلى منهجه بعلمه وسلوكه، لأنه مثل حي ووسيلة إيضاح، تبين عن صحة دعوته، وسلامة قصده، وقد كان لسيرة الرسل والدعاة المخلصين أبلغ الأثر في جمع الناس على دعوتهم"[55].

لذلك كان لابد من ذكر لبعض النساء القدوات اللواتي ضربن خير الأمثلة الواقعية على صدق دعوتهن، وكمال إيمانهن.

- **أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:**

إن الإنسان في هذه الحياة كثيرا ما تواجهه المشاكل والهموم والآلام، ولو بقي وحده لما استطاع حل هذه المشاكل والتخلص منها، لذلك فهو بحاجة إلى من يشاركه فيها، فيزيل عنه الهموم ويخفف عنه تلك الآلام، هذا بالنسبة لعوام الناس، فما بالنا بالداعية الذي يكون عرضة أكثر من غيره للمشاكل والهموم، بسبب إعراض الناس عنه وإيذائهم له، فهو بحاجة دائمة لمن يشجعه ويحثه على مواصلة الطريق دون الالتفات إلى هذه الأمور العارضة.

---

[54] الغزالي. زينب. إلى ابنتي.1415هـ.1994م.الطبعة الأولى.القاهرة.دار التوزيع و النشر الإسلامية.الجزء الأول. ص2.

[55] الواعي.توفيق يوسف.النساء الداعيات.د.ت.المنصورة.دار الوفاء. ص 133.



ولا شك أن الزوجة الصالحة هي أفضل شخص يقوم بهذه المهمة العظيمة، فهي أقرب الناس إلى زوجها، وهي التي تستطيع أن تخفف عنه عبء هذه الهموم، وتستطيع أن تبث في نفسه الاستمرار والثبات، فيكون لها اثر في نجاح الدعوة وانتصارها، وتكون بذلك قد شاركت في تبليغ الدعوة عن طريق غير مباشر.

وموقف أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى لما تستطيعه الزوجة المؤمنة بدعوة الخير، أن تقوم به في نجاح زوجها وثباته واستمراره في دعوته.

فخديجة بنت خويلد – رضي الله عنها- هي التي آزرت النبي –صلى الله عليه وسلم- في صدر الدعوة الإسلامية، وأعانت على تثبيت ونشر دعوة الإسلام، فهي الزوجة الأولى للنبي –صلى الله عليه و سلم- وهي أول مسلمة آمنت به وصدقته، وهي التي استطاعت أن تفرج عن الرسول –صلى الله عليه وسلم- واستطاعت أن تثبته في الشدة وفي الأوقات العصيبة فقد رأيناها عندما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم يرتجف بعد نزول الوحي عليه، يقول لها: " لقد خشيت على نفسي"، فتقول له قولتها العظيمة:" كلا، والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"[56].

لقد تمثل موقف خديجة رضي الله عنها في طمأنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلقه وإراحته من جهده بتذكيره بما منّ الله عليه من الفضائل التي لا يتصف بها إلا عباد الله الأبرار أمثاله، وهؤلاء لا يمكن أن يخذلهم الله عز وجل، بل إنهم أهل إعزازه وإحسانه. فبهذا الموقف الجليل، وبهذا الرأي الراجح، استحقت أم المؤمنين أن تنال المكانة العظيمة عند ربها عز وجل وفي قلب الرسول صلى الله عليه وسلم.

(وخديجة رضي الله عنها مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم. إن أصحاب الرسالات يحملون قلوبا شديدة الحساسية، ويلقون غبنا بالغا من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهادا كبيرا في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، بله الإدراك والمعونة!. وكانت خديجة سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد صلى الله عليه وسلم أثر كريم)[57].

---

[56] صحيح البخاري. كتاب: بدء الوحي. باب(كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قول الله جل ذكره:((إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح و النبيين من بعده)). (النساء: آية 163). 1/4.حديث 31.

[57] الغزالي. محمد .فقه السيرة .1408هـ.1988م. الطبعة الأولى.مصر.دار الدعوة.ص88.



- **فاطمة الزهراء**- رضي الله عنها-:

هي فاطمة بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- محمد بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وأمها هي أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب.

وهي المرأة التي حفظت لنا نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم،و هي سيدة نساء العالمين، نشأت السيدة فاطمة على العفة الكاملة، وعزة النفس، وحب الخير، وعلى حسن الخلق، فهي تستقي من تعاليم أبيها نبي الأمة، ورسول الرحمة، وخير مرشد وأعظم مرب وهاد إلى الطريق المستقيم[58].

وما كادت تبلغ الزهراء الخامسة من عمرها، حتى بعث أبوها نبيا، فعاشت فاطمة الزهراء مراحل الدعوة من بدايتها، وشاهدت مناهضة كفار قريش لرسول الله – صلى الله عليه وسلم- ظلما وعدوانا، كما شاهدت في نفس الوقت، وقوف أمها خديجة – رضي الله عنها – بجانب زوجها في تحمل أعباء الدعوة، الأمر الذي ساعد على وقوف فاطمة رضي الله عنها بجانب والدها بعد وفاة أمها في دعوته، بالرغم من ضعف قوتها وقلة حيلتها.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا وحوله ناس من قريش، جاء عقبة بن أبي معيط بسلى[59] جزور، فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة – رضي الله عنها- فأخذته من ظهره ودعت على من صنع، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:(اللهم عليم بالملأ من قريش: أبا جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف)، أو أبي بن خلف، فرأيته قتلوا يوم بدر، فألقوا في بئر، غير أمية أو أبيّ، تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر[60].

ففي هذه الرواية تجلى لنا موقف عظيم لفتاة صغيرة في سن الصبا، سن الضعف البدني، خاصة بالنسبة للبنت، ولكن هذا الضعف البدني عندما تغذى بالإيمان قد أصبح قويا

إن فاطمة رضي الله عنها تلك الفتاة التي لم يشتد عودها بعد، عندما رأت ما حل بأبيها صلى الله عليه وسلم من قبل أشقى القوم، نسيت سنها الصغير، وجسمها الضعيف، وتذكرت إيمانها بربها وبرسوله الذي يجب الدفاع عنه، وتجنيبه الأذى، فهبت مسرعة نحوه، لتزيل عنه ذلك الأذى الذي أصابه، ثم أقبلت على أولئك المجرمين المشركين، لتوبخهم وتدعو رها عليهم، وهو ذات دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم.

---

[58] انظر: الدومي.أحمد عبد الجواد.مسلمات خالدات.بدون تاريخ. الطبعة الأولى.بيروت.منشورات المكتبة العصرية.ص3.

[59] هي جلدة فيها ولد الناقة، كالمشيمة في الإنسان، ويكون فيها ماء قذر ودماء. القاموس المحيط.ص1672.مادة(سلي).

[60] أخرجه البخاري في مناقب الأنصار. باب(ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة).1399/3.حديث3641.



وبذلك تكون فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – قد ضربت للفتاة المسلمة، أفضل الأمثلة على ما يجب أن تتحلى به الفتاة المسلمة من قوة وشجاعة ومبادرة إيجابية في جميع مراحل حياتها .

- **أسماء بنت أبي بكر** – رضي الله عنها -:

من المواقف الدعوية التي وقفتها المرأة المسلمة في عهد الدعوة الإسلامية الأول، والتي كان لها أثرها في الحفاظ على سير الدعوة الإسلامية وحمايتها وحماية الرسول صلى الله عليه وسلم من كيد الكافرين، الموقف الذي وقفته أسماء ذات النطاقين رضي الله عنها، يوم هجرة النبي صلى الله عليه وسلم مع أبيها أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – إلى المدينة المنورة، حينما خرجا واتجها نحو غار ثور، فمكثوا فيه ثلاثة أيام، ولم يعلم أحد بذلك غير آل أبي بكر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

(لقد كانت أسماء – رضي الله عنها – ممن يعلم بمكان الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعلم بأن هذا الأمر سر لا ينبغي لأحد من المشركين أن يعلمه لما فيه من خطورة على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة والدعوة الإسلامية عامة، فأخفت هذا السر مع ما فيه من خطورة على نفسها فيما لو اكتشف المشركون أمرها، ثم إنها ساعدت الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته بإعداد الطعام لرحلته الطويلة)[61].

لقد سجلت لنا كتب السير أسماء الكثير من النساء اللواتي تحمّلن الأذى والتعذيب في سبيل دعوتهن ودينهن، وإن المقام لا يتسع إلى ذكر سيرهن، ومن هؤلاء : سمية بنت الخياط، وأم شريك، وزنيرة الرومية، وأم عبيس، وجارية بني المؤمل... ، كل أولئك قد ابتلين في الله وعذبن العذاب الشديد، فكن نعم القدوات في الصبر والتضحية وتحمل الأذى في الله عز وجل[62].

---

[61] العطاوي. أحمد يعقوب. المرأة الداعية.1420هـ.2000م.الطبعة الأولى.الرياض.مكتب الرشد.ص75.

[62] انظر الكتب التالية : الإصابة في تمييز الصحابة. و أسد الغابة. و صفة الصفوة. و سيرة ابن هشام.و نساء خالدات.



المراجع:

-القرآن الكريم.

-ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي. 1419 هـ. *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.

-ابن منظور. محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين . 1414 هـ. *لسان العرب*. ط.3. بيروت: دار صادر.

-أحمد. حنان إبراهيم الحاج. 2006م. *المرأة بين شرعية الدعوة و واقع الأسرة*. فلسطين: الجامعة الإسلامية.

-أحمد. فايزة. *العمل الدعوي النسائي في مكة المكرمة أنموذجا حقائق و آفاق*.https://uqu.edu.sa . {8-9-2013م}

- الدومي. أحمد عبد الجواد. *مسلمات خالدات*.د.ت. ط1. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

-البخاري. محمد بن إسماعيل.1422 هـ. *صحيح البخاري*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. السعودية: دار طوق النجاة.

-بريغش. محمد حسن.1423 هـ. *المرأة الداعية و الأسرة المسلمة*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

-بكار. عبد الكريم. 1426هـ. 2005م . *مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي*. ط.3. دمشق: دار القلم.

-بولوط. شيماء خير الدين حسين. 2009م. *دراسة مقارنه للجهود الدعوية النسائية في كل من المدينة المنورة وكوالالمبور*. بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراة في الدراسات الإسلامية. كلية الدراسات الإسلامية. الجامعة الوطنية الماليزية.

-البيانوني. محمد أبو الفتح. د.ت. *المدخل إلى علم الدعوة*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

-البيهقي. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. 1424 هـ. 2003 م. *السنن الكبرى*. ط.3. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.



-الترمذي. محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. 1998م. *الجامع الكبير*. *سنن الترمذي*. د.ط. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

-حمزة. عمر يوسف. ١٤١٥ هـ. ١٩٩٥م. *من قضايا المرأة في الإسلام*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

-الحوشاني. عبد الله بن رشيد. 1417هـ. 1996م. *منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى*. الرياض: دار اشبيليا.

-خليل. فاطمة. 1424 هـ .2003م. *دور المرأة المسلمة بين الأصالة والمعاصرة*. فلسطين: مطبعة النبراس الفنية.

-الرازي. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. 1420هـ. 1999م. *مختار الصحاح* . تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط.5. بيروت: المكتبة العصرية – الدار النموذجية.

-زيدان. عبد الكريم . 1421 هـ. 2000 م. *أصول الدعوة*. ط9. بيروت: مؤسسة الرسالة.

-الشويعر. محمد بن سعد. ١٤١٣هـ. *مجموع فتاوى ومقالات متنوعة*. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

-الصغير. فالح. 1420هـ. *العمل الدعوي للمرأة المسلمة*. جريدة الجزيرة. العدد12104.

-العطاوى. أحمد يعقوب. 1420هـ.2000م. *المرأة الداعية* . ط 1. الرياض: مكتبة الرشد.

-العطاوي.فاطمة يعقوب. 2009م. *العمل النسائي الإسلامي في البحرين*. http://www.ikhwanwiki.com. {3-8-2013م}.

-العيد. نوال بنت عبد العزيز.2007 م. *واقع الدعوة النسائية في المؤسسات الخيرية*.د.ط. http://nawalaleid.com/

-الغزالي. زينب. *إلى ابنتي* .1415 هـ.1994 م. ط1. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

-الغزالي. محمد . *فقه السيرة* . 1408هـ. 1988م. ط1. مصر: دار الدعوة.

-غلوش. أحمد. 1407هـ. *الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها*. ط.2. القاهرة : دار الكتاب المصري.

-الفيومي. أحمد بن محمد بن علي. د.ت. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. د.ط. بيروت: المكتبة العالمية.



-القرطبي. أبو عبد الله محمد. 1372هـ. *الجامع لأحكام القرآن*. د.ط. تحقيق:أحمد عبد العليم البردوني. القاهرة: دار الشعب.

-كردي. أحمد. 2010م. *تاريخ المرأة المسلمة في مجال الدعوة*. مجلة البشرى.www.kenanaonline.com {10-8-2012م}.

-مجمع اللغة العربية. د.ت. *المعجم الوسيط*. د.ط. القاهرة: دار الدعوة.

-مسلم. أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري. د.ت. *صحيح مسلم*. د.ط. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

-مشهور. مصطفى. 1415 هـ. ١٩٩٥م . *من فقه الدعوة*. ميدان السيدة زينب: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

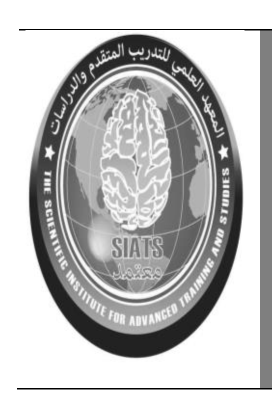
-موسوعة الإخوان المسلمون. د.ت. *دور المرأة في العمل الإسلامي*. http://www.ikhwanwiki.com . {28-5-2013م}.

-الهاشمي. محمد علي. 1422هـ.2001م. *شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة*. ط4. دار البشائر الإسلامية.

-الواعي. توفيق يوسف. 1412هـ. *النساء الداعيات*. ط.2. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر.

- الوكيل. محمد السيد. 1412هـ.1994م. *أسس الدعوة و آداب الدعاة*. ط.3. مصر: دار الوفاء.





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

العدد 2، المجلد 1، تموز، يوليو 2015م.

e-ISSN: 2289-9065

THE VOCABULARY OF RAIN IN THE LIGHT OF QURANIC SYSTEMS AND EXPERIMENTAL SCIENCE

مفردات المطر فى ضوء النظم القرآني والعلم التجريبي

الدكتور محمد ويدوس سيمبو

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

widus81@usim.edu.my

1436هـ – 2015م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 11/5/2015
Received in revised form 20/6/2015
Accepted 1/7/2015
Available online 15/7/2015

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The rain in the holy Quran has many vocabularies. Every one of them has a different meaning according to the structure and context. Among of them comes in the real sentence, and others in the metaphorical expression.

The researcher tries to strengthen the reality of the rain by focusing on the deeply meaning of the systematic structure of the rain verses.

Furthermore, the researcher focuses on the roles of the systematic structure of the rain verses to deny the illusions (*syubuhat*) of earlier scholars about whole things related to the rain, saying an irrelevant thing, affected by myths and beyond of reality.



الملخص

إن للمطر في القرآن مفردات عديدة، يختلف معنى البعض عن الآخر لاختلاف البنية والسياق. فمنها ما جاء على سبيل الحقيقة، كالمطر نفسه وغيره من الألفاظ، ومنها ما جاء على سبيل المجاز. والباحث يحاول قدر استطاعة أن يجلى حقيقة المطر، وذلك بالوقوف على ما دل عليه نظم آياته من دقائق المعنى. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الباحث يتعرض لما انتهى إليه العلم التجريبي من تقارير فى شأن المطر، ويختار منها ما هو الأنسب والأوفق لمقتضى معانى النظم الكريم، كما أنه يصحح بعض المفاهيم التي تتعارض وفخامة معانى نظم آيات المطر.



التمهيد:

مما عليه أكثر أهل البيان أن الإعجاز القرآني يتجلى من نظمه، وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم[1]، وهو الذي أنيط به التحدي من أن يأتي بمثله الإنس والجن، إلا أنهم بهتوا واستسلموا أبد الآبدين. والنظم التنزيلي له وجوه عديدة، البعض منها أظهر، والأخر أدق وأغمض، ولهذا قيض الله تعالى له رجالاً موفقين كتبوا فيه نفائس المؤلفات، ومن أشهرهم الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، وشيخ الإسلام أبو السعود في تفسيره الموسوم بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، والإمام البقاعي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وغيرهم.

وللنظم الكريم ثمرات جليلة، فمن أمعن النظر فيها نظرًا تدبريًا يستطيع نقد الروايات بالمأثور، ودفع ما يوهم التعارض بين الآيات، وبيان الآيات المجملة، ومعرفة المراد من المبهمات، وترجيح المحتملات التفسيرية، وتوجيه التكرار والتشابه اللفظي من آيات التنزيل، وتحقيق نسبة القول إلى قائله[2].

وعلى الرغم من كثرة فوائده كما رأيت، إلا أن الكل ينساق في المقام الأول إلى غاية واحدة، وهي حمل النظم القرآني على أفخر المعاني التنزيلية وأجزلها.

وهذا البحث إن هو إلا محاولة أخرى للوقوف على نظم آيات المطر في التنزيل الحكيم، وتصحيح بعض المفاهيم التي تتعارض وفخامة معاني نظم آيات المطر، ووزن ما انتهى إليه تقرير العلوم الكونية الحديثة في ذلك بميزان نظم آيات المطر، واختيار الأنسب والأوفق منه لمقتضى معاني النظم الكريم.

---

[1] النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص22.

[2] وقد تناولنا أثر نظم القرآن في معالجة القضايا التفسيرية هذه في رسالة علمية معنونة بـ"أثر نظم القرآن في تفسير شيخ الإسلام أبي السعود (من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الأنعام). وذلك في مرحلة الدكتوراه بجامعة الأزهر الشريف.



المبحث الأول

النظم لغة واصطلاحًا

قال صاحب القاموس وشارحه –طيب الله ثراهما–: "النظم: التأليف وضم شيء إلى شيء آخر، وكل شيء قرنته بآخر فقد نظمته. (و) النظم: (المنظوم) وصف بالمصدر، يقال نظم من لؤلؤ وخرز. (و) النظم: (الجماعة من الجراد). يقال جاءنا نظم من الجراد، وهو الكثير. (و) النظم: (الثريا) على التشبيه بالنظم من اللؤلؤ. ونظم اللؤلؤ ينظمه نظمًا ونظامًا، بالكسر، ونظمه تنظيمًا: ألفه وجمعه في سلك فانتظم وتنظم، ومنه: نظمت الشعر ونظمته، ونظم الأمر على المثل، وله نظم حسن، ودر منظوم ومنظم. وانتظمه بالرمح: اختله، وانتظم ساقيه وجانبيه، كما قالوا: اختل فؤاده، أي: ضمهما بالسنان.

والنظام: كل خيط ينظم به لؤلؤ ونحوه، جمِع بنُظم (ككتب، و) من المجاز النظام: ملاك الأمر، تقول: ليس لهذا الأمر من نظام، إذا لم تستقم طريقته (جمِع بأنظمة، وأناظيم، ونظم). وأيضًا: السيرة، والهدي، والعادة، يقال: ما زال على نظام واحد، أي: عادة، وليس لأمرهم نظام، أي ليس له هدي ولا متعلق ولا استقامة"[3].

وقال الشارح استدراكًا على صاحب القاموس: "ومما يستدرك عليه: الانتظام: الاتساق، وتناظمت الصخور: تلاصقت، ونظم الحبل: شلّه، ونظم الخَوَّاص المقْلُ[4]: ضفره، وتنظم الكلام وانتظمه، وهذان البيتان ينتظمهما معنى واحد، ورجل نَظَّام، ونِظِّيم: كثير نظم الشعر، ونظم القرآن: لفظه، وهي العبارة التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة". أ هـ بتصرف[5].

وقد أظهر صاحب القاموس وشارحه أن كل منظوم لا يقال: إنه نظم إلا إذا توفر فيه معنى الجمع والكثرة، فلا يقال لأمر واحد: إنه نظم أو هو منظوم.

---

[3] مرتضى الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج33، ص496-498. بتصرف.

[4] المقْل المكّي: ثمر شجر الدوم، ينضج ويؤكل، خشن، قابض، بارد، مقو للمعدة. كذا في القاموس. وقال المرتضى الزبيدي: "هو الشبيه بالنخلة في حالاتها". انظر: الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج4، ص51؛ ومرتضى الزبيدي، **تاج العروس**، ج30، ص414.

[5] مرتضى الزبيدي، **تاج العروس**، ج33، ص499.



كما لا يقال إنه منه إلا إذا أفاد معنى الضم والتنسيق المستتبع منه معنى الصلابة والاستقامة، فلا يقال لأمرين أو أكثر: إنه نظمهما أو هما منظومان، إلا إذا رتبا على نسق معين مستقيم وضعهما، فلا يقال إذن لأمر عشوائي: إنه نظم أو منظوم.

هذا معنى النظم لغة. أما في الاصطلاح فقد عرفه الإمام عبد القاهر الجرجاني بقوله: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"[6].

ويقرب من هذا التعريف قول الجرجاني: "النظم هو تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل"[7].

والظاهر من إفادة صاحبي الدلائل والتعريفات أن الجزء الأصغر من النظم هو تأليف الكلمة وضمها إلى أخرى، فلا يقال: إنه من النظم ما جرى في ضم حروف المباني المكونة للكلمة وترتيبها مثل الضاد والراء والباء من كلمة "ضرب"، كما لا يقال: إنه منه ما تبع ذلك الضم والترتيب من التشديد والغنة والمد والحركات؛ فإن ترتيب هذه الأشياء لا يدخل في مصطلح النظم.

وعلل البعض هذا الحكم فقال: "إن النظم الذي نتحدث عنه يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، ولا كذلك نظم الحروف؛ إذ المعتبر في النظم ضم لفظة مع أخرى المترتب عليه حسن الدلالة، ولا شك أن هذه الحالة غير موجودة البتة في نظم الحروف، هذا من جانب، والآخر أنه لو كان النظم يقصد به إلى اللفظ نفسه بحيث يصبح توالي الألفاظ في النطق نظمًا على نسق نظم الحروف لوجب ألا يختلف حال الاثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه؛ لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسًا واحدًا، ولا يعرف أحدهما من ذلك شيئًا يجهله الآخر"[8] بتصرف.

هذا الحكم يصدق على كل نظم من كلام البشر سوى القرآن. أما نظم القرآن الكريم فليس على هذا النحو؛ إذ أقر العلماء على أن ترتيب حروف القرآن هو نظم بعينه عجز عنه الخلق في الإتيان بمثله؛ لأن القرآن معجز أيضًا بنغم ألفاظه، وأصوات الحروف المكونة للمفردة المتصفة بالرخوة، والشدة، والهمس، والجهر، وما تشتمله من المعاني المدلولة المتسقة مع تلك الأصوات والأنغام.

---

[6] الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص4.

[7] الجرجاني، **التعريفات**، ص361.

[8] الخولي، **مكان النحو من نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني**، ص79.



قال الشيخ الزرقاني، وهو يتحدث عن خصائص أسلوب القرآن: "الخاصة الأولى مسحة القرآن اللفظية، فإنها مسحة خلابة عجيبة تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي، ونريد بنظام القرآن الصوتي اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومداته وغناته، واتصالاته وسكتاته، اتساقًا عجيبًا، وائتلافًا رائعًا يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور"[9].

وقريب من هذا البيان مقولة الدكتور محمود السيد شيحون عند حديثه عن مظاهر إعجاز نظم القرآن، حيث يقول: "المظهر الثاني المفردة القرآنية. إذا تأملت في الكلمات التي تتألف منها الجمل القرآنية رأيتها تمتاز بمميزات ثلاث رئيسة، هي: جمال وقعها في السمع، واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالتها، لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات"[10].

والظاهر من جملة النقول أن تأليف حروف المباني المكونة لمفردة من المفردات القرآنية هو بعينه نظم؛ إذ يترتب عليه النظام الصوتي البديع الدال على معنى، وذلك بالضرورة عند تركيبها في الجمل القرآنية.

فنظم القرآن إذن هو تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وآياته، وسوره، وموضوعاته التي يشتمل عليها المصحف الجليل من حيث اللفظ والمعنى، وهو وجه من وجوه إعجازه. والله أعلم.

المبحث الثاني

نظم ألفاظ وكلمات القرآن الكريم

المطر والألفاظ المعبرة عنه ورد بها القرآن العزيز في أكثر من موطن، ولهذا، كان من الأولى بادئ ذى بدء أن يقف القارئ الكريم على كيفية النظم الجليل في اختيار ألفاظه وكلماته ووضعها داخل منظومة المعنى التنزيلي.

من المعلوم بداهة، أن القرآن الكريم بلغ في نظم ألفاظه وكلماته غاية في الدقة، وهو أجل من أن يضاهيه أي كلام بشري مهما بلغ الغاية القصوى من البلاغة، حتى ولو كان ذلك من عند الرسول ﷺ؛ إذ المتأمل في كل منهما على حدة يرى الفرق بينهما في الفصاحة والبيان كالفرق بين الثرى والثريا، كما يرى أن للقرآن في نظم ألفاظه رسومًا كثيرة، فكان يختار رسمًا دون رسم قصدًا لأمر يتوخاه المقام، فتجد فيه حينًا زيادة في أصل بنية الكلمة، وفي حين آخر تجد فيه الحذف، ضرورة أنه كلما زاد اللفظ زاد المعنى.

[9] الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج2، ص244.

[10] شيحون، **الإعجاز في نظم القرآن**، ص77.



انظر إلى قول الله ﷻ: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء:94]. قال جار الله الزمخشري: "والكبكبة: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقي في جنهم ينكُب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها"[11]. وقال أيضًا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف:80] ﴿اسْتَيْأَسُوا﴾ أي يئسوا، وزيادة السين والتاء في المبالغة، نحو ما مر في استعصم[12]"[13].

هذا في الزيادة، أما في الحذف فإنه لا توجد في القرآن الكريم كلمة محذوفة إلا لغرض، ومن أمثلة ذلك: إنه يحذف من الفعل للدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه، وإن زمنه أقصر ونحو ذلك، فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث.

أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل، فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل فاقتطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل، بل ذكره بأوفى صورة.

ومن ذلك قوله جل وعلا: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف:97]، وذلك في السد الذي صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب. ولما كان الصعود على هذا السد أيسر من إحداث ثقب فيه لمرور الجيش فحذف من الحدث الخفيف، فقال: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾، بخلاف الفعل الشاق الطويل، فإنه لم يحذف، بل أعطاه أطول صيغة له، فقال: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾، فخفف بالحذف من الفعل بخلاف الفعل الشاق الطويل.

ثم إنه لما كان الصعود على السد يتطلب زمنًا أقصر من إحداث الثقب فيه حذف من الفعل وقصر منه ليجانس النطق الزمن الذي يتطلبه كل حدث". كذا منقول بتصرف عن السامرائى في بلاغة الكلمة[14].

هذا، ولألفاظ القرآن رسوم أخرى غير التي تم بسطها، مما يطول ذكرها ويصعب إلمامها في بحث قصير مثل هذا، وتلخيصًا لجوانب موضوعنا هذا وجمعًا لشعبه أتيناك أيها القارئ الكريم بأقوال بعض العلماء كما يلي: قال بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله في المكتوب التاسع عشر: "إن كلمات القرآن الكريم وجمله ينظر بعضها إلى البعض

---

[11] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج4، ص400.

[12] قال العلامة الزمخشري عند تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف:32]، "جيء به مبالغة في الدلالة على الامتناع البليغ، والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة، وهو يجتهد في الاستزادة منها، وهو بيان لما كان من يوسف عليه لا مزيد عليه، وبرهان لا شيء أنور منه، على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان". انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج3، ص280.

[13] الزمخشرى، **المصدر نفسه**، ج3، ص312.

[14] السامرائى، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، ص9-11.



الآخر، فتتواجه وتتناظر الكلمات والجمل، فقد تكون كلمة واحدة متوجهة إلى عشرة مواضع، وعندها تجد فيها عشر نكات بلاغية، وعشر علاقات تربطها مع الكلمات الأخرى"[15].

وفي كتيبه (المعجزات القرآنية) يقول: "إن جزالة نظم القرآن الخارقة وتناسقه نابعة من نظم ألفاظه وكلماته المتعانقة لكل جملة، والتي لا يصلح مكانها غيرها؛ فإن الكل منها له من الكلام نصيب يمد به المقصد"[16].

وللدكتور محمد عبد الله دراز في هذا المقام كلام نفيس أيضًا، حيث يقول: "لا شك أنك إذا نظرت إلى القرآن حيث شئت، تجد بيانًا قد قدر على حاجة النفس أحسن تقدير، فلا تحس فيه بتخمة الإسراف ولا بمخمصة التقتير، يؤدي لك من كل معنى صورة نقية وافية؛ نقية لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها، وافية لا يشذ عنها شيء من عناصرها الأصلية ولواحقها الكمالية. كل ذلك في أوجز لفظ وأنقاه، ففي كل جملة منه جهاز من أجهزة المعنى، وفي كل كلمة منه عضو من أعضائه، وفي كل حرف منه جزء بقدره، وفي أوضاع كلماته من جمله، وأوضاع جمله من آياته، سر الحياة الذي ينتظم بأداته. وبالجملة ترى كما يقول الباقلاني: محاسن متوالية وبدائع تترا"[17].

ضعْ يدك حيث شئت من المصحف، وعدّ ما أحصته كفك من الكلمات عدًا، ثم أحصِ عدتها من أبلغ كلام تختاره خارجًا عن الدفتين[18]، وانظر نسبة ما حواه هذا الكلام من المعاني إلى ذلك، ثم انظر كم كلمة تستطيع أن تسقطها أو تبدلها من هذا الكلام دون إخلال بغرض قائله؟ وأي كلمة تستطيع أن تسقطها أو تبدلها هناك؟ فكتاب الله تعالى كما يقول ابن عطية: "لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لن توجد"[19]؛ بل هو كما وصفه الله ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:1]"[20] بتصرف يسير.

وزاد عليه البعض فقال: "إن اصطفاء الألفاظ أسماءً كانت أو أفعالاً أو حروفًا يفضي إلى كون هذه الكلمة المصطفاة صافية نقية من حوشي[21] اللفظ أو مستكرهه، ثم هي عينها ذات جرس وإيقاع يلتئمان مع المعنى المعبر عنه، ويبرزانه ويشكلان جزءًا من مضمونه، وهي في الوقت ذاته لفظة موحية ذات ظلال وارفة تقود إلى معان كثيرة في ظل المعنى

---

[15] النورسي، **المكتوبات**، ج2، ص228.

[16] النورسي، **المعجزات القرآنية**، ص20.

[17] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص192.

[18] أي دفتي المصحف الجليل.

[19] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج1، ص52؛ والسيوطي، **الإتقان في علوم القرآن** (النوع الرابع والستون: في إعجاز القرآن)، ج2، ص467.

[20] دراز، **النبأ العظيم**، ص111-112.

[21] الحُوْشِيّ: الوحشي، وحوشي الكلام وحشيه وغريبه، ويقال: فلان يتتبع حوشي الكلام، ووحشي الكلام، وعقمي الكلام بمعنى واحد، وفي حديث عمر: "ولم يتتبع حوشي الكلام"، أي وحشيه والغريب المشكل منه. انظر: ابن منظور، **لسان العرب** (حوش)، ج12، ص1049.



الخاص. وهذه الفكرة هي مقتضى فكرة النظم القرآني الذي تتضافر فيه ألفاظه ومعانيه وظلاله وإيحاءاته لترسم المعنى المراد وتدل عليه"[22].

قلت: هذه النقول على الرغم من كثرتها؛ إلا أن بيان كل منها يكاد ينساق في المقام الأول إلى أن ألفاظ وكلمات القرآن تعد مفتاحًا لكنوز دقائق المعاني ولطائفها، غير أن معرفة ذلك يستوجب من كل قارئ للنظم الشريف أن يمعن النظر إمعانًا تدبريًا في رسوم ألفاظه وكلماته، كلّ على حدة، حتى ينكشف له أدق المعاني التنزيلية وأفخرها. والله أعلم.

المبحث الثالث

الألفاظ المعبرة عن المطر في النظم القرآني

بعد أن وقفت على دقة القرآن في اختيار ألفاظه، تأخذ بك أيها القارئ الكريم جولة أخرى للوقوف على الألفاظ المعبرة عن المطر في القرآن.

وقد استوعب على تلك الألفاظ الأستاذ الدكتور محيسن ختلان البكري في بحثه، حيث يرى أن البعض منها كانت دلالاته على المطر عن طريق الحقيقة، والآخر عن طريق المجاز.

ففي الحقيقة ثمانية ألفاظ: المطر، الغيث، الصيّب، الوابل، الطل، الودق، الماء، الحسبان.

وفي المجاز أربعة ألفاظ: السماء، الرزق، الرحمة، والرجع.

ولنشرع الآن في بيان كل واحد منها على حدة، فعن طريق الحقيقة:

المطر: هو الماء المنسكب من السحاب[23]. والميم، والطاء، والراء أصل يدل على معنيين: أولهما: الغيث النازل من السماء، وثانيهما: جنس من العدو[24].

وكان أكثر العلماء والدارسين لا يفرقون بين "المطر" و"الغيث"، فكانوا يضعونهما في سلة واحدة، وكأنهما مترادفان، والحقيقة أن لكل لفظ معنى خاصا به، وقد تنبه إلى هذا الجاحظ حيث قال: "وقد يستخف الناس ألفاظًا ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر؛

---

[22] ناصر الحنين، **النظم القرآني في آيات الجهاد**، ص35.

[23] ابن منظور، **لسان العرب**، ج46، ص4223.

[24] ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج2، ص 760.



لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث"[25].

ودليل ما ذهب إليه الجاحظ قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر:74]، والسجيل طين متحجر. وقوله جل ثناؤه: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ [النمل:58]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [الفرقان:40]، والقوم الذين آخذهم الله بالعذاب والانتقام هم قوم لوط عليه السلام في قريتهم سدوم[26].

بعد أن تكشفت لنا حقيقة كلمة المطر في النظم التنزيلي، نقول أن للمطر معنيين: الأول منهما حقيقي وهو ما شاع في كلام أكثر الخاصة والعامة، والثاني مجازي، وهو ما اقتصر عليه التعبير القرآني؛ إذ لا تجد القرآن يلفظ بالمطر إلا في موضع الانتقام والعذاب كما مر.

الغيث: وهو في اللغة الإصابة، وأغاث الغيث الأرض، أي أصابها بالمطر، وهو الماء المنزل من السحاب إلى الأرض، وربما سمي السحاب غيثًا[27]؛ لأنه يغيث الأرض بالنبات والكلأ.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف:49].

وقد ورد "الغيث" في أكثر من موضع في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى:28]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان:34]، وقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد:20].

ففي الآخير شبه ترف الحياة الدنيا وزينتها والتفاخر بالأموال والأولاد بغيث أو مطر، أعجب الزراع النبات الذي نما وأينع من جراء هذا الغيث، وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾، ولم يقل: "كمثل مطر"؛ لأن المطر لا يأتي في القرآن إلا في موضع العذاب والانتقام، بينما الغيث يكون في موضع الخير والنماء، وهذا ما يتمناه الزراع.

الصيّب: الصيّب بتشديد الياء وكسرها السحاب ذو الصوب، وهو الغيث، وبابه نصر[28].

---

[25] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص20.

[26] الحموى، **معجم البلدان**، ج3، ص200.

[27] الرازى، **مختار الصحاح**، (فصل الغين إلى النون)، ص65.

[28] الرازي، **نفس المصدر**، (فصل الصاد، والضاد، والطاء)، ص34.



والصيب المطر الغزير، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم وصفًا لحال المنافقين في إظهار الإيمان، وما هم بمؤمنين في الحقيقة، وذلك عند قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:17-19].

هذا تشبيه حال بحال، وقد فسر ابن قيم الجوزية ذلك بقوله: "... فضرب الله للمنافقين بحسب حالهم مثلين، مثلا ناريًا، ومثلا مائيًا لما في النار من الإضاءة والإشراق والحياة، فإن النار مادة النور، والماء مادة الحياة، ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي، فشبههم بأصحاب صيب وهو المطر الذي لا يصوب، أي ينزل من السماء، فيه ظلمات ورعد، وبرق، فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت زواجر القرآن، ووعيده، وتهديده، وأوامره، ونواهيه، وخطابه الذي يشبه الصواعق، فحاله كحال من أصابه المطر فيه ظلمة ورعد وبرق، فلضعفه وخوره جعل أصابعه في أذنيه وغمض عينيه من صاعقة تصيبه"[29].

الوابل: وهو المطر الشديد، وبابه وعد، قال ابن أبي بكر الرازي: "الوابل المطر الشديد، وقد وَبلت السماء من باب وعد"[30]. والذي يعضد قول صاحب مختار الصحاح قوله تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل:16].

وقد وردت لفظة "وابل" في أكثر من موطن في القرآن، كقوله تعالى وصفًا لحال المنافقين في الإنفاق: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة:265].

لقد شبه النظم الجليل الذي ينفق الشيء الكثير بالوابل، وشبه الذي ينفق الشيء القليل بالطل. وفي بيانه يقول الإمام ابن قيم الجوزية: "والطل مطر صغير القدر يكفيها لكرم منبتها تزكو على الطل وتنمو عليه، مع أن في ذكر الوابل والطل إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير والقليل، فمنهم من يكون إنفاقه وابلاً، ومنهم من يكون إنفاقه طلاً، والله لا يضيع مثقال ذرة"[31].

---

[29] ابن قيم الجوزية، **أمثال القرآن**، ص53-55.

[30] الرازى، **مختار الصحاح**، (فصل الواو)، ص456.

[31] ابن قيم الجوزية، **أمثال القرآن**، ص116.



الطل: الطّل بفتح الطاء مصدر "طَلّ الإبل،" إذا ساقها سوقًا عنيفًا[32]، والطل هو المطر الضعيف، وطلت الأرض إذا نزل عليها الطل[33].

وقد ورد "الطل" في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة:265]، وقد تقدم بيان ذلك في كلامنا على الوابل، ففي هذا التعبير تأكيد لمدح هذه الربوة، بأن الطل يكفيها وينوب مناب الوابل في إخراج الثمرة ضعفين، وذلك لكرم الأرض وطيبها. قال المبرد وغيره: "تقديره فطل يكفيها"[34]، وقال الماوردي: "وزرع الطل أضعف من زرع المطر، وأقل ريعًا، وفيه وإن قل تماسك ونفع"[35].

الودق: الودق بفتح الواو وسكون الدال، المطر عامة، سواء أكان سديدًا أم غزيرًا، فكل ما نزل من ماء السماء هو "ودق". قال الخليل: "الودق: المطر كله، شديده، وهينه"[36].

وينسجم هذا القول وما انتهى إليه كثير من المفسرين من أن الودق هو المطر عامة دون تعيين وصفه سواء أكان شديدًا أم هينًا، وهو المرتضى كذلك عندنا هنا. وذلك عند تفسيرهم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [النور:43].

فالودق هنا المطر عامة[37]. غير أن الخليل بعد أن قال ما قال، ورأي معنى هذه الكلمة في دواوين العرب انتهى إلى القول بأن الودق هو الشديد من المطر دون هينه لانعقاد الإجماع عليه. قالت العرب: "حرب ذات ودقين،" أي شديدة تشبه بسحابة ذات مطرتين شديدتين[38].

الماء: أصل "ماء": "ماه"، فالهمزة مبدلة من الهاء في موضع اللام[39]، والأصل "مَوَهٌ" تحركت الواو وفتح ما قبلها، فقلبت ألفًا فصارت "ماهٌ"، ويجمع على أمواه، ومياه.

وقد وردت "ماء" في مواضع كثيرة من القرآن الكريم مرادًا بها المطر، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:99]. قال الواحدي في البسيط نقلاً عن ابن عباس ﵄ أن الماء هنا أريد به

---

[32] قطرب، **المثلث**، (طلل)، ج2، ص82.

[33] قطرب، **نفس المصدر**، ج2، ص82.

[34] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج3، ص317.

[35] الماوردي، **النكات والعيون**، ج1، ص340.

[36] الخليل، **العين**، (و د ق)، ج5، ص198.

[37] الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص311؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج18، ص261.

[38] الخليل: **العين**، (و د ق)، ج5، ص198.

[39] ابن منظور: **لسان العرب**، (موه)، ج5، ص198.



المطر[40]، وهو ما انتهى إليه غيره من المفسرين[41].

الحسبان: الحسبان بضم الحاء، هي العذاب والبلاء[42]. وقد جمع أقوال العلماء في ذلك الإمام القرطبي في تفسيره فقال: "ذهب أبو عبيدة والأخفاش والقتبي إلى أن الحسبان هي مرامي السماء، واحدتها حسبانة، وقال ابن الأعرابي: الحسبانة السحابة، والحُسبانة الوسادة، والحسبانة الصاعقة. وقال أبو زياد الكلاولي: أصاب الأرض حسبان، أي جراد، والحسبان أيضًا الحساب"[43].

وبناء عليه، فالحسبان لفظ مشترك لهذه المعاني المتعددة. قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:5]، وقال تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف:40]، أي عذابا وبلاءًا من السماء.

قال ابن منظور: "والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها، ولهذا قال: ﴿فتصبح صعيدًا زلقًا﴾، أي ترابًا أملس لا نبات فيه. وهذا القول مناسب للآية، فكأن الله تعالى أرسل على تلك الجنة عذابًا من السماء يتمثل بمطر شديد تصحبه عاصفة هوجاء كسرت الأشجار والنخيل، فحولتها إلى أرض ملساء لا نبت فيها فأصبحت خاوية على عروشها كما وصفها الله تعالى"[44].

هذا المطر من حيث وروده على الحقيقة، أما كونه عن طريق المجاز ففي بضع كلمات، وذلك من باب التوسع على النحو الأتي:

السماء: عرف اللغويون السماء بأنها كل ما علانا، ولذلك قيل لسقف البيت سماء[45].

وترد السماء في العربية مرادًا بها ثلاثة معان، الأول منها: هو كل ما علاك، والثاني: سقف البيت، والثالث: المطر. فهي إذن مشترك لهذه المعاني. فإذا كانت بمعنى العلو أنثت في لغة العرب[46]؛ لأنها جمعت "سماءة"[47] أو جمع "أسمية"

---

[40] فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج13، ص112.

[41] محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج7، ص642؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص398.

[42] ابن منظور، **لسان العرب**، (حسب)، ج9، ص866.

[43] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج10، ص408.

[44] ابن منظور، **لسان العرب**، (حسب)، ج9، ص867.

[45] الخليل، **العين**، (سمو)، ج7، ص319، وابن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، (فصل السين)، ص605

[46] مجلة المورد، **الأزمنة لقطرب**، مج13، ج3، ص113.

[47] ابن منظور، **لسان العرب**، (سمو)، ج24، ص2108.



و"سماوات"[48]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت:11]، قال ﴿هِيَ﴾ ولم يقل (هو)، وقال ﴿لَهَا﴾ ولم يقل (له)، فدل على أنها مؤنث. أما إذا كانت السماء بمعنى "سقف البيت" فقد قال الخليل –كما ورد عن سيبويه– أنها تذكر، واحتج بقوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل:18]، فقد كان يفسر ذلك في ضوء نظام العربية على منهجه. كذا في الكتاب[49].

أما إذا كانت السماء بمعنى المطر ذكّر. قال ابن خالويه: "والسماء إذا أريد به المطر فهو مذكر، وجمعه سُمَيّ، وأسمِية، تقول العرب: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، أي المطر"[50].

وقد ورد السماء بمعنى المطر في عدة مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [هود:52]، أي المطر متتابعًا، أي إن هذه السحب تدر مطرًا متتابعًا ينبت الخير[51]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس:31]، أي من السماء من مطر وثلج ونحوه[52].

الرزق: بكسر الراء هو ما ينتفع به، وهو العطاء[53]، أو هو ما يعتمد عليه. قال الخليل: "أرزق الله يرزق العباد رزقًا، اعتمدوا عليه، وهو الاسم، أخرج على المصدر، وقيل: رَزْق على الأصل، وهو المصدر"[54].

وقد يسمى المطر رزقًا من باب المجاز. ففي اللسان قوله: "جعل الرزق مطرًا؛ لأن الرزق عنه يكون"[55].

وقد ورد "المطر" بهذا المعنى في النظم التنزيلي، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر:13]. قال أبو السعود: "أي سبب الرزق، وهو المطر، وإفراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر"[56].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ﴾ [الجاثية:5]، فإطلاق الرزق على المطر مجاز مرسل، علاقته المسببية، وهي

---

48 الرازي، **مختار الصحاح**، (فصل السين)، ص605.

49 سيبويه، **الكتاب**، ج2، ص47.

50 ابن خالويه، **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**، ص109.

51 الطباطبائي، **تفسير الميزان**، ج1، ص272.

52 المصدر نفسه، ج2، ص255.

53 الرازي، **مختار الصحاح**، فصل الذال والراء، ص367.

54 الخليل، **العين**، (رزق)، ج5، ص89.

55 ابن منظور، **لسان العرب**، ج19، ص1637.

56 أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج5، ص10.



أن يكون المنقول عنه مسببًا وأثرًا لشيء آخر، وذلك فيما ذكر لفظ المسبب وأريد به السبب"[57].

لرحمة: الرحمة بفتح الراء وسكون الحاء: الرقة والتعطف، وتراحم القوم إذا رحم بعضهم بعضًا[58]. وسمي الغيث رحمة؛ لأنه تعالى برحمته ينزل من السماء[59].

وقد وردت "الرحمة" في القرآن الكريم مرادًا بها المطر في عدة مواضع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:56]، فالرحمة هنا هي المطر، والدليل على ذلك قوله: ﴿ قَرِيبٌ﴾، ولم يقل "قريبة". وقد خرجت هذه الكلمة من معناها الحقيقى، وهو الرقة والتلطف إلى معنى مجازى، وهو المطر اتساعًا في اللغة، ويعضده قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان:48]، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ [الروم:46]، جاء في تفسير الميزان: "﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾، أي تبشر بالمطر"[60].

هذا، وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة وردت فيها الرحمة بمعنى المطر لا يمكن لمثل هذ البحث القصير استيعابها، ولهذا نكتفي هنا بهذه المواضع.

الرجع: وهو مصدر من رجع يرجع رجْعًا من باب فتح. وللفعل مصادر أخرى غير هذا، وهو الرجوع، والرجعى، والرجعان، والمرجع، والمرجعة[61]. وفي التنزيل: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [العلق:8]، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق:11]، ويقال ذات النفع[62]، وهو المطر. قال الرازي نقلا عن الزجاج: "الرجع هو المطر؛ لأنه يجيء ويتكرر. واعلم أن كلام الزجاج وسائر أئمة اللغة صريح في أن الرجع ليس اسمًا موضوعًا على المطر، بل سمي رجعًا على سبيل المجاز"[63].

---

[57] القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص156.

[58] الرازي، **مختار الصحاح**، (فصل الراء)، ص476.

[59] ابن منظور، **لسان العرب**، (رحم)، ج 19، ص1613.

[60] الطباطبائي، **تفسير الميزان**، ج21، ص471.

[61] ابن منظور، **لسان العرب**، (رجع)، ص 1591.

[62] الرازى، **مختار الصحاح**، (فصل الراء)، ص305.

[63] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج31، ص133.



المبحث الرابع

مراعاة جزالة النظم التنزيلي يصحح الأخطاء التفسيرية في تناول آيات المطر

كثرت الأقوال في المنزل من عند الله تعالى جهة السماء سواء أكان المنزل منه رحمة أم عذابًا كثرة آياته، إلا أن البعض منها لا يخلو من خطأ في التفسير، ففي البعض منها قول بأن في الهواء بحرًا معلقًا ما بين السماء والأرض، ومنه نزلت الحجارة على قوم لوط عذابًا لهم، وذلك عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود:82][64]، وقول[65] بأن في السماء جبالاً من برد –على الحقيقة–[66]. جاء منها السجيل المنضود على قوم لوط، ويعضده قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾ [النور:43]، كذا في تفسير الإمام القرطبي نقلاً عن عكرمة وغيره. وفي تفسير الإمام الطبري عن ابن أبزى أن "البحرين" في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن:20] تعني وجود بحر في السماء وبحر في الأرض[67].

وبناءًا عليه، يجب تنزيه النظم الجليل عن الحمل على أمثال هذه الأقوال؛ لأنها تخل بفخامة المعاني التنزيلية، فإن ﴿مِن﴾ هنا تعنى جهة السماء، لا السماء نفسها. وقد تولى دحض مثل هذه الشبهات وبيان ما هو المرتضى في ذلك من تفسير بديع الزمان سعيد النورسي، وذلك عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة:19].

وها هو نص كلامه: "وان ذكر ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ مع بداهة أن المطر لا يجئ الاّ من جهتها إيماءًا بالتخصيص إلى التعميم، وبالتقييد إلى الإطلاق نظير التقييد في ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام:38]، أي مطبق آخذ بآفاق السماء. وما استدل بعض المفسرين بلفظ من السماء هنا وفي آية ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾ [النور:43] على نزول المطر من جرم السماء حتى تخيل البعض وجود بحر تحت السماء، فنظر البلاغة لا يرى عليه سكةَ الحقيقة. بل المعنى: من جهة السماء"[68].

---

[64] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص82.

[65] كابن جزي. انظر: ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج4، ص51.

[66] قلنا ذلك؛ لأن بعض المفسرين أرجعوها إلى المجاز دون الحقيقة، فالتقدير عندهم هنا "وينزل من السماء قدر جبال، أو مثل جبال من برد إلى الأرض." وفي تفسير الوسيط للشيخ محمد سيد طنطاوي: "وينزل سبحانه من جهة السماء قطعًا من السحاب كأنها القطع من الجبال في عظمها وضخامتها." انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج12، ص289؛ وطنطاوي، **التفسير الوسيط**، ج10، ص138.

[67] طبارة، **روح الدين الإسلامي**، ص200.

[68] النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص138.



المبحث الخامس

المرتضى مما انتهى إليه تقرير العلوم الكونية الحديثة في نزول المطر بمنظار نظم آياته القرآنية

بعد أن سقنا لك أيها القارئ الكريم آيات التنزيل الجليل في المطر والألفاظ المعبرة عنه من حيث كونها على الحقيقة أو المجاز قد يتسأل المستفهم –وهو حقه– فيقول: هذه الآيات التي ذكرتها تتحدث عن نزول الامطار، ولكن كيف تأتي الأمطار من البحر المالح؟

وللأجابة عن هذا أقول: إنه من بين آيات المطر في القرآن الكريم آية واحدة في سورة النور تجلى حقيقة نزول المطر بصورة واضحة، وذلك عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور:43].

فكل طور من أطوار المطر في نزوله من السماء تأخذه أوضاع النظم الجليل بألفاظها الجزل ومعانيها الفخر وتنسجه سبكًا محكمًا يشع من خلاله فخامة كلام رب العباد وعظمته.

وإليك ما سطره قلم مكي بن أبي طالب: "قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾، يسوق السحاب حيث يريد، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾، أي يؤلف قطعه، أي يلصق بعضها إلى بعض ويقربها؛ لأن السحاب يحدث قطعًا قطعًا.

قال عبيد بن عمر: "الرياح أربع: يبعث الله الريح الأولى فتقمّ الأرض قمًّا، ثم يبعث الثانية فتنشئه سحابًا، ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركامًا، أي متراكمًا بعضه على بعض، ثم يبعث الرابعة فتمطره،" ومعنى ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي من خلال السماء"[69].

ومن هنا، فالآية هذه تتناول مراحل تكوين السحب الركامية وخصائصها، وما عرف علميًا في العهد الأخير من السحب الممطرة تبدأ على هيئة عدة خلايا أو وحدات من السحب التي تثير تيارات الهواء الصاعدة فتتحد مكونة السحب الركامية الممطرة (condensation)، وسميت هذه السحب بالركامية لتراكمها في طبقات بعضها فوق بعض، والرياح الصاعدة من الأرض تحمل شحنة كهربائية موجبة (electric charge: proton)، وباتجادها مع الشحنة الكهربائية الموجودة في الفضاء يتكون مجال كهربائي بسبب تحول البخار (evaporation) إلى قطرات دقيقة من الماء تكبر شيئا فشيء إلى أن تسقط الأمطار (precipitation)، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي

---

[69] مكي بن أبي طالب، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج8، ص5130.



سَحَابًا﴾، أي أن الله يسوق السحاب برفق بواسطة الرياح ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾، أي يجمع بعض السحاب إلى بعض إلى أن يصير سحبًا ركامية ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾، أي فترى المطر يخرج من خلال هذه السحب.

ومن مظاهر السحب الركامية أنها تنمو في الاتجاه الرأسي، وقد تصل إلى علو كبير جدًا وتظهر لمن ينظر إليها من بعد كالجبال الشامخة، ولا يعرف التشابه بين السحب والجبال إلا من يركب طائرة تعلو به فوق السحاب فيراها من فوقه كأنها الجبال وهذا ما وصفه القرآن للسحب الركامية بقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾، وإذا علمنا أن الطائرة لم تكن في عصر نزول القرآن الكريم، فإذن في وصف السحب الركامية بالجبال لهو إعجاز علمي للقرآن.

هذا، وإن القرآن الكريم ذكر أن السحب الركامية تجود بالبرد ﴿مِن بَرَدٍ﴾. وهذه حقيقة علمية أخرى يعلنها القرآن. وقصة نشوء البرد هو أنه بعد أن تتكون نقط المطر تعمل تيارات الهواء (atmosphere current)الصاعدة على حملها إلى مناطق التجمد في ارتفاعات شاهقة تنخفض فيها درجة الحرارة إلى 40 أو 50 تحت الصفر، وتلك مرحلة تتحول فيها نقط المطر إلى ثلج كما تجمع حولها أغشية من بلورات الثلج التي تحولت إلى جليد، وهذه المكونات الثلجية يجتمع بعضها ببعض عن طريق التصادم فتنمو ويزداد حجمها بحيث لا يقوى الهواء على حملها فتسقط إلى الارض على شكل البرد.

وهناك حقيقة علمية أخرى ذكرتها الأية وهي أن السحب الركامية هي وحدها التي يمكن أن يتولد منها البرق كما قال تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾، والبرق ما هو إلا اشرارة كهربائية هائلة(electric spark)، ولكن ما مصدر هذه الشرارات الكهربائية الهائلة؟ إن مصدرها هو شحنات الكهرباء في نقط الماء التي داخل السحب، وكذلك الهواء الذي من حولها، فإن نمو البرد داخل السحب يصحبه حتمًا انفصال شحنات كهربائية عظمى (big electric charge)

، وتنشأ عن هذه الشحنات ضغوط كهربائية لا تزال تتراكم وتزداد حتى لا يقوى الهواء على عزلها فيتم التفريغ الكهربائي بين الشحنات المختلفة في السحابة نفسها، أو بينها وبين سحابة أخرى قريبة، أو حتى بين السحابة والأرض. ومن أضرار البرق الإصابة بالعمى المؤقت، ولعل الطيارين هم أكثر الناس تعرضًا لذلك، وخصوصًا عند تحليقهم داخل السحب الركامية.



وليس من اللازم أن يتساقط البرد والمطر بمجرد تكونه؛ إذ ربما يحول تيار الهواء الصاعد دون نزوله في مكان معين حتى إذا ما ضعف هذا التيار هوى المطر أو البرد على هيئة زخات، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ﴾. كذا منقول بتصرف من كتاب روح الدين الإسلامي[70].

انظر أيها القارئ الكريم! كيف كان النظم التنزيلي يضرب بحجر واحد عصافير، فكم من حقائق علمية انتهت إليها العلوم الكونية الحديثة، والقرآن الكريم قد نوه إليها، بل ذكرها بأروع ما كان وبصورة تجلى حقيقة الأمر. والأمثلة التي بين أيدينا خير دليل على ذلك. والحقائق العلمية إن هي إلا جند من جنود الرحمن الرحيم في جعل إعجاز القرآن الكريم العلمي أكثر وضوحًا في عصر العلم والتكنولوجي، وهو العصر الذي لا يستطيع أن يكذب بصدقية القرآن في كلامه ككتاب سماوي سلم من أيدي التحريف العابثة بقدسيته.

فحمدًا لله تعالى على جعل قرآنه الكريم خالدًا في ذكر التاريخ ومشعًا مزداهرًا للقلوب العاشقة إلى الأسرار القدسية والأنوار الإلهية الباعثة على الإيمان.

المبحث السادس

تقرير عدل المولى في توزيع المياه على الأرض ونسبتها المقررة في ضوء نظم آيات المطر

أقر العلم الجغرافي والعلم الطبيعي مؤخرًا بعدل المولى ﷻ في توزيع المياه على الأرض ونسبتها المقررة، وأنه لا تجور سنة على أخرى في مقدار مطرها. وذلك في دراسة أجراها الدكتور شاهر جمال آغا أستاذ الجغرافيا الطبيعية في جامعة دمشق، وأوضح أن الإعجاز الإلهي والنبوي الشريف، أخبرنا قبل ما يزيد عن 1400 سنة أن ما يصل إلى الأرض من هطول محسوب بدقة ولا يتغير وسطياً من عام إلى آخر، وهو ما يعبر عنه في العلوم الجغرافية والعلوم الطبيعية بالتوازن الرطوبي والتهطالي (Moisture equilibrium).

واستدل في ذلك بالحديث النبوي عن ابن عباس ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من عام أمطر من عام، ولكن يصرفه حيث يشاء، ثم قرأ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفرقان:50]»[71]. وكذلك ما ورد في قوله: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف:11]، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: 18].

---

[70] طبارة، **روح الدين الإسلامي**، ص53.

[71] أخرجه الحاكم في **المستدرك**، ج2، ص475، رقم3577.



دليل الإعجاز:

أوضحت الدراسة أن الله خص الأرض بغلافها الأرضي الجغرافي الذي تميزت به عن أترابها من الكواكب الشمسية وسواها المعروفة حتى الآن، وتتفاعل أجزائه بفعالية كبيرة وباستمرار مع بعضها البعض، وذلك عبر النقل المتبادل للطاقة والمادة، مما يجعل من الغلاف الأرضي الجغرافي كتلة طبيعية واحدة متكاملة، وللماء الدور الحاسم في إتمام عمليات النقل والتبادل لما لها من سمات وخصائص فيزيائية وكيميائية ينفرد بها.

وأضافت أن الحديث أثبت الكم المحدود من الهطول السنوي بقوله: «من عام أمطر من عام»، وأما قوله ﷺ: «يصرفه حيث يشاء» تعني توزيع الهطول على سطح الأرض توزيعاً حدده رب العزة بشكل يحقق التوازن النطاقي والإقليمي على سطح الأرض، والتوازن الرطوبي المنطلق لتحقيق مختلف أشكال التوازن المادي والطاقي الأرضي، وعند الله كل شيء بمقدار ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:8].

واستدل صاحب الدراسة بظاهرة الدورة الرطوبية على سطح الأرض على أن مجموع ما يتبخر على سطح الأرض يعادل كمية الهطول السنوية فوقها، ما يثبت بدوره مصداق المعيارية والمقدارية المشار إليها في الآيتين الكريمتين السابقتين وفي الحديث الشريف كذلك.

سر التوازن الاشعاعي:

أكدت الدراسة أن هذا التوازن يحدث نتيجة للتوازن الإشعاعي الحراري الأرضي الجوي، وأوضحت أنه عندما تبلغ أشعة الشمس إلى سقف الجو ينعكس منها ما نسبته 31% مباشرة إلى الفضاء الخارجي وما تبقى من الأشعة 69% يدخل الغلاف الجوي فيمتص منه قرابة 17% والباقي52% أي فإنه يمثل مجموع الأشعة المباشرة والمنتشرة الواصلة إلى سطح الأرض، والتي ينعكس منها إلى الجو قرابة 4%، وهكذا يتبقى من الأشعة ما يعادل 48%، ونجد أن 18 %يصرف إشعاعاً أرضياً فعالاً ذاتياً إلى الجو، وما تبقى أي 30% فإنه يعتبر المخزون الأرضي الإشعاعي الفعلي الذي يتحول جزء منه إلى طاقة حرارية تعمل على تبخير المياه على اليابسة والمحيطات وبنسبة 22% من مجموع الأشعة الممتصة فعلياً من قبل سطح الأرض، أما ما تبقى وهو 8%، فإنها تصرف على عمليات التبادل الحراري الطاقي بين الأرض والجو.



هذه الطاقة التي تعادل بالنسبة لسطح الأرض ماء ويابسة (59) ك. كالوري وسطياً تكفي على مدار السنة تبخير ما مقداره 577 ألف كم3 من المياه السائلة من على سطح الأرض، وحسب قوانين التوازن الرطوبي آنفة الذكر، ستتحول المياه المتبخرة كاملاً إلى مياه سائلة ثانية (هطول) أي بمقدار 577 ألف كم3[72].

هذا، صحيح أن كل شيء مقدر عند الله تعالى كما نطقت به الآية الكريمة السالف ذكرها، وأن الله يصرف الأمطار كيف يشاء، إلا أن تعيين المقدار في ذلك في علم الله تعالى، وعملية الحساب الدقيقة التي رأيتها أيها القارئ الكريم إن هي إلا من حسابات البشر، والعلم بصحتها من عدمه عند الله تعالى.

ومن هنا، لما كان هذا التقرير لم يتعارض وفخامة النظم القرآني فلا بأس من قبوله كتفسير علمي للنص الكريم، إلا أنه لم ندّعِ بأنه الأصح في ذلك، وليس هناك كلام أخر بعده؛ لأنه قد يأتي ما هو أدق منه، حتى لا نحمل النظم القرآني على ما لا يستحقه من معنى. وذلك لأن التطورات في العلوم على توسع مستمر كلما تمر الأيام، والحقائق القرآنية ثابتة لا تتغير ولا تستبدل أبد الآبدين. هذا، والله أعلم.

[72] انظر هذه المقالة في: http://www.akhbarona.com/religion/79344.html



المصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم**.
2. الخولي، د. إبراهيم محمد عبد الله، **مكان النحو من نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني**، (القاهرة: دار البصائر، ط1، 2008م).
3. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، (مصر: مطبعة الكلية، ط1، 1329هـ).
4. ابن خالويه، الحسين بن أحمد، **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**، (دار الكتب المصرية، 1941هـ).
5. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، **جمهرة اللغة**، حققه وقدم له الدكتور رمزي منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1987م).
6. البطليوسي، عبد الله بن محمد بن سيد، **المثلث**، تحقيق الدكتور صلاح مهدي على الفرطوسي، (العراق: وزارة الثقافة والإعلام العراقية: دار الرشيد للنشر، 1983م).
7. ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (الدار التونسية للنشر، 1984م).
8. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة: حسن عباس زكي، 1419هـ).
9. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **أمثال القرآن**، تحقيق الدكتور موسى بناي علوان العكيلي، (بغداد: مكتبة الزمان، 1407هـ/1987م).
10. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د.ت.).
11. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، تحقيق الدكتور السيد أحمد صقر، (مصر: دار المعارف، د.ت.).
12. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط7، 1418هـ/1998م).
13. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، **المستدرك على الصحيحين**، مع تعليق الإمام الذهبي، (القاهرة: دار الحرمين للطباعة، ط1، 1417هـ/1997م).
14. الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، 1397هـ/1977م).
15. القزويني، الخطيب محمد بن عبد الرحمن، **الإيضاح في علوم البلاغة**، (بغداد: مكتبة النهضة، د.ت.).
16. الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، اعتنى به فواز أحمد زمرلي، (بيروت: دار الكتاب العربي،1999م).



17. الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. (القاهرة: مكتبة دار التراث، ط3، 1984م).

18. الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وغيره، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1998م).

19. سيبويه، عمرو بن بشر بن عثمان، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام محمد هاورن، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1408هـ/ 1985م).

20. الشريف الجرجاني، **التعريفات**، (بيروت: مكتبة لبنان، 1985م).

21. طبارة، عفيف عبد الفتاح طبارة، **روح الدين الإسلامي**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط28، 1993م).

22. الطباطبائي، السيد محمد حسين، **تفسير الميزان**، (بيروت، د.ت.).

23. الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دار هجر للطباعة، ط1، 1422هـ/2001م).

24. السامرائي، أ.د. فاضل صالح، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، (القاهرة: شركة العاتك لصناعة الكتاب، ط1، 2006م).

25. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، (بغداد: نشر دائرة الشؤون الثقافية العامة، طبع دار الرشيد، 1405هـ/1985م).

26. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م).

27. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، 1423هـ/2003م).

28. محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، (القاهرة: دار المنار، ط2، 1366هـ/1947م).

29. الطنطاوى، محمد سيد، **التفسير الوسيط**، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997م).

30. شيخون، د. محمود السيد، **الإعجاز في نظم القرآن**، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1977م).

31. المرتضى الزبيدي. محمد بن محمد. **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق إبراهيم الترزي، (الكويت: من منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000م).

32. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، **النكت والعيون**، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.).

33. أبو طالب، مكي، حموش بن محمد بن مختار، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن، وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، (الشارقة: جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ/2008م).

34. الحنين، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر، **النظم القرآني في آيات الجهاد**، (الرياض: مكتبة التوبة. ط1، 1996م).



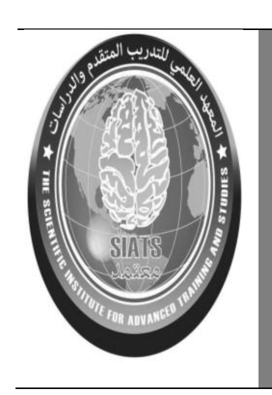
35. النورسي، بديع الزمان سعيد النورسى، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، تحقيق محمد إحسان قاسم الصالحى، (القاهرة: دار سوزلر، ط3، 2002م).

36. النورسي، بديع الزمان سعيد النورسي، **المعجزات القرآنية**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: مكتبة سوزلر، ط2، 2009م).

37. النورسي، بديع الزمان سعيد النورسي، **المكتوبات**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: مكتبة سوزلر، ط6، 2011م).

38. http://www.akhbarona.com/religion/79344.html





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

العدد 2، المجلد 1، تموز، يوليو 2015م.

e-ISSN: 2289-9065

SCIENCE IN LIGHT OF THE MODERN CREATION OF THE FOUR ELEMENTS

العلوم في ضوء حديث خلق العناصر الأربعة

أ.د. محمد أبو الليث الخيرآبادي

الجامعة الإسلامية العالمية/ماليزيا

mabullais@hotmail.com

1436هـ – 2015م



ARTICLE INFO
Article history:
Received 15/5/2015
Received in revised form 20/5/2015
Accepted 7/7/2015
Available online 15/7/2015

Keywords:
Insert keywords for your paper

الملخص

يهدف هذا البحث إلى شرح حديث "خلق العناصر الأربعة: التراب، والنار، والماء، والهواء"، وكيف أن الحديث رتَّبها ترتيبا رائعا، حيث إنه ذكر أولا كل كثيف، ثم كل لطيف، ثم جعل كلَّ مذكورٍ مؤخرًا أشد وأقوى من المذكور مقدَّمًا، وإلى أن معيار الشدة والقوة هو اللطافة، وترتيبه الطبيعي أن الألطفَ من التراب الحديدُ، ومن الحديدِ النارُ، ومن النارِ الماءُ، ومن الماءِ الهواءُ، ومن الهواءِ الإنسانُ، ومن عامة الناسِ الإنسانُ تاركُ الدنيا، ومن عامة التاركين التاركُ المحضُ والزاهدُ غيرُ المرائي الذي قلبه أطهر من شواغل الدنيا، وأرفع من حب الماديات، وأنفر من الكثافات المادية، وهو محور اللطافات الروحانية، كأن لا يكون حامل اللطافة الكاملة إلا الإنسان الروحاني الرباني، الذي لا ينهمك في خدمة البدن، بل ينشغل بتكميل الروح، وتصبح الأعمال الروحانية شعارا له، بدلا من التصرفات المادية. واستخدم فيه المنهج التحليلي والاستنتاجي.



المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد! فإن الحديث عن العلوم في ضوء حديث خلق العناصر الأربعة يتطلب ممن يكتب فيه الإلمام بالعناصر الأربعة ماهيةً، وخاصية، وأثرا، وقلَّ من كتب فيها في ضوء الأحاديث، غير **شيخنا الكبير العلامة حكيم الإسلام سماحة المقرئ مولانا محمد طيب** –طيب الله ثراه– المدير الأسبق للجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند في الهند، فإن له محاضرة ألقاها أمام أساتذة وطلبة جامعة علي كراه الإسلامية في الهند، في يوم الأحد 8/ جمادى الثانية 1357هـ الموافق 17/ أغسطس 1938م، بعنوان "سائنس اور اسلام"[1]، شرح فيها حديث خلق العناصر الأربعة شرحا مفصلا، نتقدم لكم بمختصر منها بألفاظه مع تصرف منا تصرفا جزئيا.

حديث خلق العناصر الأربعة

عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فقال: فعاد بها عليها، فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال، قالوا: يا رب! هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد. قالوا: يا رب! فهل من خلقك أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار. فقالوا: يا رب! فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم، الماء. قالوا: يا رب! فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح. قالوا: يا رب! فهل من خلقك أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم، تصدَّق بصدقةٍ بيمينه يخفيها من شماله»[2].

---

[1] ترجمها إلى اللغة العربية نظيف أحمد القاسمي الأزهري بعنوان "العلوم والإسلام"، تولى نشرها مجمع حجة الإسلام، الجامعة الإسلامية دار العلوم وقف، ديوبند، الهند.

[2] أخرجه أحمد في **مسنده**، ج3، ص124، رقم12275 (ومن طريقه ابن الجوزي في **المنتظم في التاريخ**، ج1، ص7)؛ وعبد بن حميد في **مسنده**، ص365، رقم1215؛ والترمذي في **سننه**، –واللفظ له–، ج5، ص454، رقم3369 عن شيخه محمد بن بشار (وأبو الشيخ في **العظمة**، ج4، ص1379، رقم8963 من الطريق نفسه)؛ وأبو يعلى في **مسنده**، ج7، ص286، رقم4310 عن شيخه أبي بكر بن أبي شيبة؛ وابن أبي حاتم في **تفسيره**، ج8، ص489، رقم12955– ج11، ص177، رقم17270 من طريق عمرو بن محمد الناقد؛ وابن منده في **التوحيد**، ص82، رقم63 وأبو القاسم الأصبهاني في **الحجة في بيان المحجة**، ج2، ص451، رقم434 من طريق سعيد بن مسعود المروزي؛ والبيهقي في **شعب الإيمان**، ج3، ص244، رقم3441 والمزي في **تهذيب الكمال**، ج11، ص443 من طريق محمد بن أبي بكر [بن علي بن عطاء بن مقدم]؛ والخطيب في **المتفق والمفترق**، ج1، ص89، رقم625 من طريق يحيى بن أبي طالب؛ ثمانيتهم قالوا: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ. وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه".



وفي رواية عن أنس ﷺ مرفوعا: «... هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد يكسر به الجبال. قالت: يا رب! هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار يلين بها الحديد ...»[3].

موضوع العلوم هو العناصر الأربعة

توصل الشيخ إلى أن موضوع "العلوم" هو عمل المواليد الثلاثة التي هي: الجمادات والنباتات والحيوانات. ثم لما كانت كلُّ هذه المواليد الثلاثة مركبةً من العناصر الأربعة: 1) الطين، 2) والنار، 3) والماء، 4) والهواء، لذلك أصبح موضوعُ "العلوم" هذه العناصرَ الأربعة، ومن ثَمَّ أصبحت دائرةُ عملِ "العلوم" فهمَ خواص تلك العناصر وآثارها عملاً، وإيجادُ الأشياء الجديدة في ضوء تجربات تحليلاتها وتركيباتها عبر الطرق الكيماوية.

المطلب الأول: التفاوت بين العناصر قوة وضعفا ومعياره:

إذا تأملنا في هذه العناصر الأربعة فوجدناها متفاوتة قوة وضعفا، وهذا التفاوت ليس عشوائيا، بل هو مبني على معيار، وهو أن ما ازداد منها لطافةً ازداد قوةً، ومن ثَمَّ ازداد غلبة وتسلطا وقدرة بقدر القوة، وما ازداد منها كثافةً ازداد ضعفاً، ومن ثم ازداد عجزا ومغلوبية وذلة ومهانة بقدر الضعف.

وسرُّ ذلك هو أن اللطافة هي صفة الكمال، ومخزن كلِّ كمالٍ وجوديٍّ هو ذات الله واجب الوجود، لذلك هو منبع اللطافات كلها أيضاً، ومن ثم هو منبع القوة والطاقة والغلبة، ومن الثابت أن قبول الأثر لا يكون بدون مناسبة بين المؤثِّر والمتأثر، إذاً كل شيء لطيف له مناسبة مع الله تبارك وتعالى بقدر لطافته، ويكون قويا وغالبا وقادرا بقدر قربه منه ومناسبته معه. وأما الكثافات والأشياء المكثفة فهي غريبة وبعيدة عنه تعالى غاية البعد؛ إذ لا وجود للكثافة هناك، فلذا كلُّ ما يبتعد بكثافته عن ذات اللطيف الخبير، يكون مغلوبا وضعيفا وذليلا على قدره، وتنعدم فيه القوة والاستيلاء والغلبة.

[3] أخرجه أسلم بن سهل بحشل الواسطي في **تاريخ واسط**، ص63؛ وأبو الشيخ في **العظمة**، -واللفظ له- ج4، ص1353، رقم27676 كلاهما من طريق هشيم، عن العوام بن حوشب، عن العوام عن سليمان بن أبي سليمان به إلا أنها مختصرة عند أسلم. وحكمها مثل حكم الرواية السابقة؛ لأن في سندها أيضا سليمان بن أبي سليمان.



1- عنصر الطين أضعف عنصر:

إذا عرضنا العناصر الأربعة على المعيار السابق، فنجد الطين أكثر العناصر كثافة؛ لأنه من الأرض، والطين ليس كثيفا بنفسه فحسب، بل هو مكثِّفٌ للغير أيضا، فثبت أن كلَّ شيءٍ كثيفٍ سببُ كثافتِه هو الطين لا غير؛ فإن النار لا تُوسِّخ شيئاً ولا تُغَلِّظُه، وكذلك الماء لا يكدِّر شيئا ولا يغلِّظه، بل تُزَال به الغلاظة والكدورة؛ لأن أصلها طاهر ونظيف. وكذلك الهواء أيضاً لا يكدِّر شيئاً ولا يوسِّخه، فمصدر الكثافة هو الطين والغبار الذي لا مناسبة بينه وبين اللطافة بشيء، لذلك لا مكانة له في دنيا العناصر، فالأرض تداس بالأرجل ليلَ نهارَ، بل العناصر الأخرى كلها غالبة عليها، وهي لعبةٌ في أيديها، فيُطيِّره الهواءُ، ويسيل به الماء، وتحرقه النار، وهو لا يملك قوةً تدافع عن نفسه؛ وإنما سَلَبَتْها الكثافةُ المطلقةُ. والتراب مع كونه كثيف المادة والصورة هو كثيف الطبع أيضا؛ لأن مدرا طينيا إذا رُمِيَ به من الأسفل إلى الأعلى بكامل القوة والطاقة فيعلو بقدر أثر قوة الرامي العرضية فيه، وعندما تنتهي قوة الرامي تعود إليه حالته الأصلية وطبيعته الأرضية فيرجع إلى الأسفل.

خلاصة الأمر أن اللطافة غائبة تماما عن مادة الأرض وصورتها، لذلك هي بعيدة عن الله بعدا مطلقا في هذا الوصف، فتحتَّمَ أن يأتي في نصيبها الضعف المطلق والذلة المطلقة، لذلك وصف الله تعالى الأرض بالذلول (الذي هو مبالغة الذليل) في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك:15].

نعم! هناك جزء من الأرض يقال له "الجبال"، التي ترابُها (أي رملها) قَبِلَ قليلا من اللطافة، فأبعد نفسَه عن الكدورة والكثافة نوعًا مًّا، ففاق الطينَ بقدر بُعْده عن الكثافة، لذلك إذا نُفِضَ الرملُ الجافُّ ينتشر يمينا ويسارا، وإذا وضع عليه الماء لا يصير وحلا، وذراته لامعة، وإذا نظرنا إليها من بعيد خدعتنا، وحتى تشتبه الرمال على الناظر فيظنُّها ماءً وبحرا لنقائها وصفائها ولمعانها، (وهذا الذي يقال له: سراب).

الحاصل أن الرمل بقدر وجود اللطافة فيه أصبح أعز من الغبار. وحجر واحد يكسر مدرا كبيرا من الطين، بل يكسر الآجُرَّ المصنوع من التراب، بينما لا تستطيع كتلٌ كبيراتٌ من التراب أن تنال من الحجر شيئا، وبوقوع صخرة على الأرض ترتج الأرض وتهتز، ويحصل فيها صدعٌ وشقٌّ، وحفرة عميقة، بينما الأكوام من التراب إذا وقعت على صخرة لا تستطيع أن تميد بها عن مكانها، فضلا عن كسرها. ثم هذه الأحجار كلما تزداد نقاءً وصفاءً وجلاءً تزداد قيمةً وطاقةً معنويةً، فحجر الصوَّان (Flint) أثمن من الأحجار العادية، وحجر الرخام (مرمر) أثمن من الصوَّان، والجواهر واليواقيت أثمن من الرخام، والألماس (Diamond) أثمن من الكل، والفرق بينها هو قلة وكثرة اللطافة والكثافة والغلاظة والنقاء.



ولكن هذه الجبال وأحجارها القوية تبقى ساكتة عاجزة، أمام الحديد، فمعولٌ حديديٌّ صغيرٌ يقضي عليها تماما في دقائق، فاتضح أن الحديد أشد وأقوى من الأحجار، سرُّه هو اللطافة؛ لأن الحديد ألطف من الأحجار، ولا توجد فيه كثافة الرمل، فضلا عن كثافة التراب، لا تَطِير ذراتُ الحديد فتوسِّخَ الأشياء، وإذا وقع الرمل في الماء فيكدره نوعا ما بكونه من أصل التراب، ولكن ذراتٍ صغارًا من الحديد إذا وضعت في الماء، لا يحصل أي فرق في جلائه ورقته وسيلانه. وكذلك إذا صُقِّل الحديد يتلمع مثل الفضة، بل إذا صقل أكثر فيصبح مرآة يرى فيها عكس ما هو أدق وأرق، بينما الأحجار لا يوجد فيها صلاحيةٌ لقبول التلميع والتصقيل. فاتضح أن الحجر أخزى وأذل من الحديد بهذه اللطافة.

2- عنصر النار أقوى من الطين، وأضعف من الماء:

ولكن هذا الحديد الأقوى إذا مسته النار، فجميع طاقاته وقدراته تذهب هباءا منثورا، فبمجرد مسِّ النار الحديدَ يتغير لونه وشكله، ويشحب وجهه وعارضته، وتذيبه النار وتسيله مثل الماء، مما دل على أن النار أشد وأقوى من الحديد. وسِرَّ ذلك أن اللطافة في النار أكثر منها في الحديد؛ لأن للحديد جسما ماديا، وليس للنار جسم ذاتي، والحديد يكسب النور من الآخر، بينما النار تتنور بنفسها، وتنوِّر الأشياء الأخرى المظلمة أيضا.

ثم الحديد المصقول اللطيف الذي نسميه "مرآة"، هي على رغم لطافتها ثقيلة الجسم وكثيفة المادة، بحيث إذا ضربنا عليها باليد فترتد اليد إلينا من جسمها الكثيف، بينما النار بسبب لطافتها العالية تنفذ اليد فيها، ولا يتكسر جسمها إطلاقا.

ثم الحديد المصقول (أي المرآة) لا يقبل إلّا عكس الشيء، بينما النار تقبل الجسم الأصلي للشيء لا عكسه، ومع ذلك لا يحصل في جسمها أي كسر وخرق، ولا تمنع النار من تداخل الأشياء الأخرى فيها؛ لذا هي أقوى وأشد من الحديد، بل دائرة أثرها أوسع من دائرة أثر الحديد وغيره من الأشياء الكثيفة على قدر توسع حدود لطافتها، فمثلا: الحجر والحديد لا يحيطان إلا بالموضع الذي وضعا فيه، ولا أثر لهما في غيره، وأما النار فتصل آثارها (النور والحرارة) إلى غير مكانها أيضا، بل وإن غاب مكان النار عن الأبصار والأعين فآثارها المنتشرة بعيداً تدل على وجودها، فبهذه الأسباب كلها النار أغلب على الحديد، وأقدر على إفنائه.

3- عنصر الماء أقوى من النار، وأضعف من الهواء:

ولكن النار الملتهبة هذه، تبقى على قيد الوجود إذا لم يكن هناك ماء؛ فإنه يطفئها ويقضي عليها تماما. وسِرُّ ذلك أن النار بلطافتها كان لأي جسم أن يدخل فيها، ولكن بسبب عدم صفاء وجهها لا يُرَى فيها عكسُ ذلك الشيء



وصورتُه، خلافا للماء فإنه يَدخُل فيه ذاتُ الشيء، ويُرَى فيه عكسُه أيضا؛ لأنه لطيف المادة ولطيف الصورة معا. ومن كمال لطافة الماء أن البصر يشقه، والنار لا يشقها البصر، وأيضا دائرة أثر الماء أوسع من دائرة أثر النار، فإذا أشعلت النار في مكان مغلق من جهاته الأربع فيبقى أثر نورها محدودا في ذلك المكان، ولكن الماء إذا وُضِعَ في مكان مسدود فلا يبقى أثره في ذلك المكان فقط، بل يصل أثره من الرطوبة والنداوة إلى الأشياء المجاورة به إلى أقصى حدٍّ ممكنٍ. وأمر آخر أن النار والحديد لا ينفذان في مسام الجسم، بينما الماء ينفذ بلطافته الخاصة في أرق منفذ وأدقه، ومن المعلوم أيضا أن الغلبة والطاقة على قدر اللطافة، فثبت منه أن الماء أغلب وأقوى من النار.

4- **عنصر الهواء أقوى من الماء، وأضعف من الإنسان المتصدق:**

إن الماء الذي كان يقضي على النار، يمسي أمام الهواء مسكينا عاجزا فاقد القوة، فتقلب العاصفةُ البحارَ العظامَ رأسا على عقب، ولا يكون لها مع عظمتها وهيبتها قرار أيما قرار، والماء الراكد يطيِّره الهواء ويجفِّفه، فعُرِفَ أن الهواء أقوى من الماء، وحكمه ماض عليه، وسبب ذلك أن الهواء أكثر العناصر الأربعة لطافة وشفافية، بحيث إن العين ألطف شيء تبدو أمامه كثيفة، فلا تراه، وعندما يلمسنا الهواء فنعرف بحاسة اللمس أن الهواء موجود. وكذلك الهواء بسبب شدة لطافته لا يقبل أيضاً اللون ولا الشكل، اللذين هما من متعلقات البصر.

والهواء موجودٌ في كل زاوية من الزوايا، وفي كل منفذ من المنافذ، وحتى الأماكن التي لا تصل إليها أضواء النار ولا نداوة الماء، يصل إليها الهواء ويحتلُّها. مما دل على أن الهواء ألطف شيء، فلذا صار أقوى شيء وأغلب، يتحكم على جميع العناصر، وهو أعلى وأرفع من الجميع، وهو جارٍ وسارٍ في الكل.

المطلب الثاني: جامع العناصر الأربعة الإنسان وقوته:

ولكنْ كلُّ هذه العناصر ومواليدها الثلاثة والفروع اللامتناهية المتولدة من هذه المواليد إذا وضعناها في كفة، ووضعنا الإنسان بوحده في كفة أخرى، يظهر أن الإنسان أشد وأغلب عليها ومتصرف فيها، وكل هذه العناصر في أداء مُهِمَّتها محتاجة إلى الإنسان ومغلوبة على أمرها، وأما الإنسان فهو ليس تحت تصرف واحدٍ منها، ولا مغلوبا منها، وذلك للأسباب التالية:

1- **قوة الإنسان أشد وهي ذاتية وقوة العناصر عرضية:**

إن نسبة القوة القائمة بين كل عنصر، التي تظهر بلقاء المقابل منها، هي تحتاج في ظهورها الجزئي إلى الإنسان، فالحديد لا يكسر الحجر بنفسه، والنار لا تذيب الحديد بنفسها، والماء لا يطفئ النار بنفسه، والحركات المتخالفة



للهواء لا تَحْدُث بنفسها، بل كل هذه الآثار تظهر بعمل الإنسان، فهو الذي يصنع المعاول ويكسر بها الصخور، وهو الذي يصنع الكير ويُحْمِي فيه الحديد، وهو الذي يأتي بالماء في القرب والأسقية، وهو الذي يبرِّد الموقدَ، وهو الذي يقيِّد الهواء، وهو الذي يطيِّر السيالات. فثبت مما سبق أن أعمال العناصر الأربعة المغلوبة رهينة بأفعال الإنسان إلى حد بعيد.

2- تصرفات الإنسان في العناصر الأربعة:

جميع قوى تلك العناصر وطاقاتها في تصرف الإنسان، ومسخرة له، فشقَّ الإنسانُ صدرَ الأرض، فحفر الآبار فيها، وعمل فيها السراديب، واستخرج من معادنها، وشق فيها الطرق والشوارع، والأنفاق والأسراب، وسَيَّرَ فيها القطارات والسيارات، ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾ [الشعراء:149]، وكشف عن خزائن الأرض ودفائنها، ومازال يستخدم الأرض وأجزاءها كالخدم والعبيد.

والماءُ، بحث عنه الإنسان في قاع الأرض وعمقها، وأجراه في الأنهار والجداول، وسقى به الحقول والمزارع، وبرَّد به المنازل، وشربه الإنسان، وغسل به أوساخه من البول والبراز وغيرهما.

والنارُ أخطرُ عنصرٍ وأسفكه، ولكنها أمام الإنسان تبدو عبدا مجبورا ذليلا، فإذا اختفت النار في الحديد والحجر يستخرجها الإنسان منهما بضرب أحدهما على الآخر، وإذا اختفت في الشمس فيقيدها الإنسان بالزجاجات النارية، وإذا عاد الإنسان نفسه أن يُخَبِّئها ويقيِّدها هو فيقيدها على رأس عودٍ في قليل من الكبريت. الحاصل أن عنصر النار أيضا دُمْيةٌ بأيدي الإنسان، قَلَّبها متى شاء، وصرَّفها متى أراد، ولم يتركها لتستريح.

والهواء كان أكثر العناصر لطافة وحجابا، ولكنه أصبح لعبة بيد الإنسان، فتَطِير طائراتُه في الفضاء الهوائي، ويحملها على أكتافه متنقلةً بها هنا وهناك، كأن الهواء ليس بهواء، وإنما هو حصان هوائي للإنسان. ويخدمه الإنسان في اتصالاته وإعلاماته، فهو ينقل أخبار العالم، كأنه ساعي بريدٍ للإنسان يخدمه بدون أجرة وبالمجان. واستخدمه الإنسان فيحرك به مراوحه الكهربائية، ويجفِّف عَرْقَه، وحبسه في كفرات عجلات السيارات، والدراجات النارية والهوائية، والبنادق والكرات المطاطية. الحاصل أن هذه الطاقة الغير المرئية التي كانت قد قلبت البحار رأسا على عقب، لما قيدها الإنسان أصبحت بأيديه سجينا محضا، لا أحد يسأل عنه وعن حاله.



3- إيجادات الإنسان في العناصر:

لم يقتنع هذا الإنسان الجبَّار بذلك القدر من التصرف في العناصر الأربعة، بل حمله حبُّه للإبداع والإيجاد على أن يفني هذه العناصر بخلق الصراع بينها، فيأتي بإيجادات جديدة، ليستخدم الخزائن الأخرى المدفونة في الكون أيضا، فمثلا:

هو بخلق الصراع بين الماء والنار يوجد طاقةً بخاريةً، يسيِّر بها محرِّكَ القطارات والماكينات، ...

وبإيجاد الصراع بين الماء والماء، ولَّد (الكهرباء) البرق الذي يأتي بأخبار الأقاليم في دقائق، ويجعل الأرض والسماء شيئا واحدا. وهذا البرق أيضا قيده الإنسان في أسلاك النحاس والصفر تقييدا، لا يستطيع أن يفك نفسه من قبضتها. وليس هذا حال البرق الصناعي (الكهرباء) فقط، بل استعد الإنسان لقيد البرق السماوي أيضا في الأغلال والقيود، فنصب على سطوح المباني الشاهقة قضيبَ "مانعة الصاعقة" الواصل إلى ما تحت الأرض، لمنع نزول الصواعق عليها وإضرارها بها؛ لأنها عند نزولها على تلك المباني يشغلها ذلك القضيب بنفسه، ويُنزِّلها مطيعةً إلى الأرض بواسطته.

وبعمل الصراع بين النار والبترول السيال (بإشعال النار فيه)، ولَّد الناريُّ البتروليُّ الغازات، التي تسير بها سيارات الإنسان السيد، وتطير بها طائراته.

المطلب الثالث: سرُّ قوة الإنسان وتسخيره هو روحه:

من الواضح جدا أنه لا يوجد في ظاهر الإنسان شيء لطيف؛ لأن جسده مجموع من النار والماء والتراب والهواء، فهو جزء من كل منها، والجزء لا يسخر الكل. فلا شك في أن تسخيرَ الإنسانِ هذا الكونَ ليس بلطافة جسمه، ولا بلطافة الماء والنار والهواء الموجودة فيه، بل يبدو أنه بواسطة شيء آخر ألطف من الهواء أيضا؛ بحيث لا يحس بلمسه أيضا مع أنه يسري في شرايين الإنسان وعروقه، ومن الواضح جدا أنه لم يبق في جسم الإنسان شيءٌ هذه صفاتُه غير الروح؛ لأن الإنسان مركب من الجسد والروح، وهذه القوة ليس في جسده، فثبت منه أن هذه معجزة الشيء الثاني وهو الروح.

1- لطافة الروح الإنساني والنورانية الحسية:

ثبت أن الروح ألطف من العناصر الأربعة، ومن كل عالم مادي، ولطافة الروح هذه ليست معنوية ولا مرئية فحسب، وإنما هي حسية أيضا، وأنواع اللطافات التي كانت في العناصر الأربعة تجدها كلها في الروح أيضا.



فالمرآةُ المصقولةُ والماءُ الصافي يعكسان الصورَ، وعينُ الإنسان أيضا أعطاها الروح بريقاً تعكس به كلَّ ما تقع عليه من المناظر والصور والمشاهد، ولكن الفرق بينهما أن صورة المرآة لا أصل لها؛ لأن جانبها الخلفي فارغ، بينما الصورة التي تعكسها العين مازالت باقية؛ فإن وراءَ العين حسًّا مشتركًا يبقى فيه كلُّ عِلْمٍ مصوَّرٍ.

إن كانت الأشعةُ تنتشر من النارِ فتنتشر من العين البصارةُ، التي ليست أقل من الأشعة بأي حال من الأحوال؛ إذ بالأشعة تتنور الأشياء أمام العين فقط، وبالبصارة تتنور الأشياء أمام القلب، الذي يفكر في حقيقتها أيضا.

وإن كان الماء ينفذ بلطافته في الأجسام، وحتى في أصلب الأجسام أيضا، والروح أيضا إذا اتصلت بالأجسام فتنفذ في كل شريان من شرايينها، وحتى أصلب العظام أيضا تأخذ منها النداوة والنضارة، ثم إن الماء يبرِّد فقط مكانه بسريانه، بينما الروح فهي تحيي مكانها بدورانها.

وإن كان الهواء لا يُرَى بغاية لطافته فالروح أيضا بسبب لطافتها اللامتناهية لم يُرَ حتى يومنا هذا، وكما لا يُحَسُّ بلون الهواء ورائحته، أو ليس له لون ورائحة إطلاقا، كذلك الروح أيضا بريئة من هذه الخواص.

الغرض: كل ما للعناصر من كمالات اللطافة ودرجاتها ومراتبها، هو موجود في الروح أيضا، لذلك إن كانت للعناصر مناسَبَةٌ جزئيةٌ مع الله تعالى وبها كانت قوية، فللروح مع الله كل تلك المناسبات مجتمعةً، لذلك يلزم أن تكون الروح أقوى من العناصر، وما تستطيع العناصر أن تعمله بصعوبة، يعمله الروح بكل يسر وسهولة.

2- لطافة الروح وطاقته معنويتان بحيث إنها مماثلة لله تعالى نوعا ما:

نجد أن مناسبة الروح مع الله تعالى ليست مثل مناسبة العناصر مع الله، بل هي مماثلةٌ له تعالى نوعا ما، في أوصافه وكمالاته الخاصة، فمثلا: الله سبحانه وتعالى مدبر وقيوم للعوالم كلها بطريقة غير مرئية، فالروح أيضا مدبر وقيوم لعالم البدن بطريقة غير مرئية، فلو اعتزل الروح عالمَ البدن ليتغير نظامُه تماما كما يصير عند الموت.

وأنوار الله تعالى تتجلى في كل ذرة من ذرات الكون، وتَستخدِم كلَ جزء من أجزاء الكون ومناطقه حسب ما يليق لها، ومع هذا الظهور التام لها لم ترها عينٌ مَّا، وكذلك أنوار الروح أيضا تسري في جميع كائنات البدن، وتستخدم كلَّ عضو من أعضائه حسب ما يليق لها، ولكنها غير مرئية حتى الآن، بحيث إنها نفسها لم تر ذاتها، فهي ظاهرة ومختفية في وقت واحد، فكما الله ظاهر وباطن، كذلك الروح أيضا ظاهرة وباطنة.

ثم إن الله تعالى أولُ وأقدَمُ من حياة هذا الكونِ وحركاتِها ونقلاتها؛ لأنه هو الذي أعطى لكلِّ شيء في العالم الوجودَ. ثم الله تعالى هو منتهى كل شيء أيضا في العالم، وإليه تنتهي جميع حركاته ونقلاته، فهو أول كل شيء وآخره. وكذلك الروح، فهي أولُ جميع حركات عالم البدن ونقلاته؛ إذ بها وجود البدن وحياته. وكذلك لما كانت الروح سببا لحياة



البدن فلا يكون أيُّ عملٍ لعالم البدن مؤخرا عن الحياة، فثبت أن الروح هي مبتدأ الحياة، وهي منتهى الحياة أيضا، ومن ثَمَّ ثبت أن الروح هي أول عالم البدن، وهي آخره أيضا، كما كانت ظاهرة وباطنة.

ثم هذه الروح متصلة بالله تعالى بحيث إنه ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:16] و﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:4]. وهي منفصله عن الله أيضا بحيث إن مخلوقات وراء الوراء ثم مخلوقات وراء وراء الوراء مجرد ظلمة، وهو نور مطلق. ومثله تماما الروح، فهي متصلة بالبدن الحي بحيث إنه إذا انفصلت عن جزء من أجزائه فلا يكون حيا، وهي منفصلة عنه أيضا بحيث إن طهاراتها لا صلة لها بالبدن؛ إذ لا علاقة بين اللطيف والكثيف، أنَّ هذا الطين؟ وأنَّ ذلك الجوهر الطاهر؟ وأين المصباح الميت؟ وأين نور الشمس؟.

3- **الاستدلال على الإلهيات بصفات الروح:**

ويمكن لنا أيضا أن نستدل بروحنا على وجود الله الصانع، فنقول: إن عالم أبداننا لا وجود له ولا بقاء بدون مدبرٍ له غيرِ مرئيٍّ وهو الروح، كذلك هذا الكون كله لا وجود له ولا بقاء بدون مدبر حكيم وهو الله.

وأما استدلالنا على توحيده بالروح فلما كان للبدن مدبر واحد وهو الروح، لا اثنان أو أكثر وإلا يفسد نظام البدن، كذلك لا يكون لهذا الكون إلا مدبر واحد؛ إذ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:22].

ثم كما ليس للروح كمٌّ ولا كيف، ولا لون ولا جهة، كذلك الله سبحانه أيضا مبرأ من المثلية والجهة واللون والرائحة. فتوفر بفضل الروح دليل من أنفسنا على تنزيه الله تعالى وتقديسه.

ثم إن الروح سارية في جميع أجزاء البدن، ولكن علاقتها مع جميع الأجزاء مختلفة شدة وضعفا، فعلاقته بالقلب ليست مثل علاقتها بالدماغ، أو بالكبد والمعدة، وعلاقتها بهذه الثلاثة ليست مثل علاقتها بعامة أعضاء البدن الأخرى، لذلك أدنى إيذاء أو إهانة للقلب والدماغ يُغْضِب الروحَ غضبا شديدا، وبأدنى ضرب على هذه الأعضاء الرئيسة تطوي الروح بساطَها وتغادر هذا البدنَ، خلافا للأعضاء الأخرى العامة، فلا تسلب الحياة بقطع اليد أو الرجل مثلا. كذلك تجليات الله تعالى سارية في العوالم كلها، ولكنها متفاوتة بتفاوت علاقته مع المواضع شدة وضعفا، فعلاقته بالعرش العظيم ليس مثلها لأي موضع من مواضع السماء؛ لأنه مركز استوائه عليه، ثم علاقته بالبيت المعمور ليس مثلها لأي موضع من مواضع السماء؛ لأنه قبلة الملائكة[4]؛ ثم علاقته مع بيت الله والمسجد الأقصى والحرم النبوي ليس مثلها

[4] ورد في حديث الإسراء: «ثم رفع إلي البيت المعمور، قلت: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم» أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج3، ص1173، رقم3035؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، ج1، ص149، رقم164.



لأي موضع من المواضع، ثم علاقته مع المساجد العامة ليس مثلها لأي مكان من الأماكن. لذلك إذا أهين أي واحد مما ذكرنا أو هوجم عليه فيستشيط الروح الأعظم (أي الله) غيظا، وهكذا انكشفتْ علينا بفضل الروح علاقةُ الله تعالى مع مخلوقاته.

ثم كما أن كل إنسان يسمع نداء روحه بآذان قلبه بلا كلفة، ويدرك نصائح الروح بواسطة القلب، مع أن كلام الروح ليس فيه صوت ولا لفظ، كذلك تماما كلام الله تعالى كلام، وفيه حقائق، وفيه سماع وإسماع، ولكن الأنبياء عليهم السلام الذين هم بمثابة القلوب في بني النوع الإنساني، هم يسمعونه مع أنه لا ألفاظ هنا، ولا تلفظ؛ ولو تصبح هذه التجليات بارزة بعد وصولها إلى الناس، فتبين من خلال هذا البيان أننا بفضل الروح أدركنا نوعًا مًّا الكلام النفسي لله والكلام اللفظي له.

ثم إذا أغمضت عينيك فالروح ترى وتبصر، وإذا أصممت أذنيك فالروح تسمع، بل الروح في عالم التصور اللا محدود ترى عند إغماض العيون الأشياء المرئية أفضل وبلا كلفة، وعند إصمام الآذان تسمع الأشياء المسموعة بلا ريب، مع أنه لا يتصادم مع الروح صوتٌ، ولا تقترب منها صورةٌ ملونةٌ ولا جسمٌ مجسمٌ، وكذلك تماما يسمع الله تعالى كل شيء ويراه بلا مانع ولا حائل، مع أنه ليس هناك لون ولا شكل، ولا صوت، وغيرها من الماديات، فثبت بروحنا سمعُ الله وبصرُه بلا كيف وبلا مثل.

وإذا ألقينا النظر على أن حياة عالم البدن بالروح، والروح لا يحتاج إلى روح آخر، بل هو نفسه حي بذاته، وكذلك حياة العوالم كلها بالله سبحانه وتعالى، وهو لحياته ليس في حاجة إلى إله آخر، بل هو حيٌّ واجب الوجود بذاته هو، وهكذا علمنا من داخلنا أن الحياة صفة ذاتية لله سبحانه وتعالى.

ففي ضوء ما سبق ليس للروح مناسبات مع الله تعالى فحسب، بل بينهما مماثلات عديدة أيضا، أُوْدِعَتْ بسببها في نفوسنا نماذجُ لكمالات الله اللامحدودة، وقَدَرْنا بذلك على أن نرى كل شيء في داخلنا عيانا، فلذلك لا يمكن أن يكون للروح تعريف جامع أكثر مما ذكره القرآن الكريم: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء:85].

فثبت مما تقدم أن الروح أمر لطيف رباني، والجسم كثيف مظلم مادي، ولكنَّ هذه العناصر البدنية التي هي من عالم الخلق، بعد إيجاد أدنى مناسبة بينها وبين الروح، تقوَى بحيث تصبح الدنيا كلها في قبضة يديها، فالروح التي هي من عالم الأمر، والتي لا حد لعمق مناسبتها بل مماثلتها مع الله، فَأَمَا تصبح هي بتلك المناسبة والمماثلة أقوى وأغلب وأكثر تسلطا؟ وإذا اسْتُخْدِمَتْ قوتُها بطريقة صحيحة فهل يستطيع هذا الكون أن يتحملها؟.



فالإنسان أقوى بكثير من النار والماء والتراب، ولكن هذا ليس بفضل البدن، بل هذه القوة العظيمة للإنسان، وهذه الأفعال العظيمة لتلك القوة، إنما تظهر بفضل الروح المودعة فيه؛ إذ لا حدَّ لِلَطافة الروح، فهي مجموعة اللطافة السفلية والعلوية، فثبت بذلك أن الروح أقوى وأشد من جميع الماديات وجميع العناصر.

فكما وضع الله سبحانه تعالى أمثلةً نموذجيةً لنفسه في عالم الآفاق، كي تُدْرَكَ وتُحَسَّ بواسطتها نوعًا مًّا كمالاتُه الظاهرةُ وآياتُه البينةُ، كذلك هو وضع لنفسه أمثلة أكثر وأكثر في أنفسنا نحن، لنستطيع بها أن نصل على قدر استعداداتنا إلى شؤونه الباطنية وكمالاته الباطنية بطونا عن بطون ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:53].

الغرض أن كمالات "العلوم" يبدو أنها تظهر من البدن وعناصره، ولكنها في الحقيقة تظهر من الروح التي طاقتها غير المرئية جعلت العناصر الأربعة على رهن إشارتها، ولا تتركها تستريح كالعمال والأجراء.

المطلب الرابع: الاستعمال الخاطئ لطاقات الروح:

ولكن نتساءل: ماذا استفادت الروح من كمالاتها الباطنيةِ والأعاجيب الكثيرة التي عملتها في المواليد الثلاثة؟ الظاهر أن البدن هو الذي استفاد من كل تلك الإيجادات العلمية، مثل حرارة النار في الشتاء القارس، وتبريد الماء في الصيف الساخن، والاستمتاع بالهواء في الغيث الماطر، كل هذه الراحات والرفاهيات للبدن فحسب، لا للروح. وكذلك طارت الطائراتُ في الفضاء بالبدن لا بالروح. وكذلك تعود فوائد القطارات والسيارات وجميع الإيجادات المادية والاختراعات العلمية إلى البدن فقط، لا الروح.

ومعنى هذا أن الروح التي كانت ألطف وأعلى من العناصر، وكانت تغلب عليها وتحكمها، جعلتَها أنت أيها الإنسان بحيلك وتدابيرك خادمةً للجسم الكثيف، وهذا قلب الموضوع.

مع أن الروح مِلِكٌ عالِمٌ فاضلٌ، أُوْدِعَهُ ملكاتٍ طاهرةً للمحسوسات والمعقولات والوجدانيات، وهي تحكم بهذه الملكات عالَم البدن وعالَم الكون كله، فالعقل رئيس وزرائها، والنقل دستورها، ولكن هناك معهما خادم لئيم وشِرِّيرٌ، يُصْدِر أحكامَ السلطنة في البلد، وينفِّذها الوزراء والمسؤولون، وذلك الخادم اللئيم الشرِّير هو البدن مجموع العناصر الأربعة، وصفناه باللئيم لأن أي جزء يقترب منه بجهده، هو يعاديه ويقتله، فالصنم الثقيل من الطين أو الحجر، عند سقوطه من الأعلى يرضُّ أولاً رأس عابده المقرب إليه. والبحر عند فيضانه يغرق العابد المقرب إليه. والنار أول من تحرقه هو عابدها المقرب إليها. وهكذا عباد العناصر الأخرى. فأي لؤم وأية سخافة لهذه الماديات يكون أكثر من أنها لا تُفَرِّق بين الصديق والعدو.



1- عواقب الاستعمال السيئ لقوى الروح هي الحرمان والخسران:

فمادام ذلك الخادم اللئيم (البدن) استخدم الروحَ على طريقته لهواه وشهواته الجامحة، وسعَّر نارَ الحرب بينه وبين العقلِ بعيدِ النظر، وألْقَى بدستور النقل (أي القرآن والسنة) في سلة المهملات والنسيان، وألْهَى الروحَ وشغَلَها عن أعمالها الحقيقية ومنافعها الثابتة واعدًا إياها بوعود معسولة بنيل الحظوظ النفسية، وتكميل المنافع العاجلة، فاغترت هذه الروح المغفَّلة بتلك الوعود، وبدأت تسعى بقوتها الكمالاتية لتحصيل الحظوظ، التي سيستمتِع بها أصلاً ذلك الخادمُ اللئيمُ (البدنُ)، فهذا يعني أن البدن قد وجد شيئا ما، ولكن الروح مازالت صفر اليدين، بل كلُّ ما كانت الروح قد عقدتِ العزمَ على تحصيله أصبحت فيه أيضا محتاجةً إلى ذلك الخادم اللئيم، إلى حدٍّ أنها إذا كانت في مدينةٍ فيها الأجهزة الكهربائية ونظام توليد البخارات، فهي تعمل عملها بكل كمال وإتقان، وتذيع الأنباء عبر الراديو، وتتصل بالأقارب عبر التليفون، ...، ولكنها إذا كانت في قرية لا توجد فيها هذه الوسائل المادية، تصبح هذه الروح عاجزةً وعاطلةً عن العمل كأي معوَّقٍ عاجزٍ بطَّالٍ.

وحاصل كل هذا أن هذه الروح بعد نقلها كمالاتها الأصليةَ والجوهريةَ إلى الحديد والنحاس أصبحت خالية وفقيرة ومحتاجة بحيث لا يكون للاحتياج والعبدية مثالٌ أسوأ منها، والحال أن الروح كانت جامعةً للشؤون الربانية، وحاملةً لقسط وافر من العلم والمعرفة، وخزينةً للَّطافات والطاقات، كان من المفروض أن تكون مستغنيةً وغيورًا بأن لا تكون محتاجة إلى إمائها وعبيدها، وموادِّها اللاشعورية والغير العاملة.

على كلٍّ، فإن أمكن للماديات أن تُظْهر بفضل الروح عجائبَ، فكان من الممكن أن تُظهر الروحُ والروحانياتُ مثلَ تلك العجائبِ بل أفضل منها، ليظهر استغناءُ وغيرةُ هذه الروحِ الغيرِ المحتاجةِ ظهورا واضحا، وإلا فيصبح المستعير قويًّا، والمالك ضعيفًا بالكلية، والعبد حاكمًا، والملك محكومًا عاجزًا مكتوفَ الأيدي.

2- عجائب القوى الروحية المحيرة للعقول:

لا تظنَّنَّ أن هذا من الخيال، أو هو نظرية علمية، بل الروح عند ما سارت على فطرتها ظهرت على يديها مثل هذه العجائب، واستخدَمَتِ المادةَ بروحانيتها استخداما كاملا.

فهذا عمر الفاروق الأعظم ﵁ نادى من على منبر المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة: "يا ساريةُ! الجبلَ"[5]، ووَصَلَ هذا النداءُ إلى جبال نهاوند في العراق، وما كان أحدٌ قد حَلَمَ آنذاك بالجهاز اللاسلكي.

[5] فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: وَجَّهَ عُمَرُ جَيْشًا، وَرَأَّسَ عَلَيْهِمْ رَجُلاً يُدْعَى سَارِيَةَ، فَبَيْنَا عُمَرُ ﵁ يَخْطُبُ جَعَل يُنَادِي: يَا سَارِيَةُ! الْجَبَل (ثَلاَثَ مَرَّاتٍ)، ثُمَّ قَدِمَ رَسُول الْجَيْشِ فَسَأَلَهُ عُمَرُ، فَقَال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! هُزِمْنَا فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعْنَا صَوْتًا يُنَادِي: يَا سَارِيَةُ! إِلَى الْجَبَل (ثَلاَثَ مَرَّاتٍ)، فَأَسْنَدْنَا



وأذَّن إبراهيم عليه السلام بالحج واقفا على مقام إبراهيم، فوصل صوت هذا الأذان إلى آذان الأجنَّةِ في أرحام الأمهات[6]، فضلا عن كل طرف من أطراف العالم، مع أنه لم يكن بواسطة مكبر الصوت.

وكان النبي ﷺ قد سمع صوتا لفتح باب جديد في السماء وهو جالس على الأرض[7]، ومن المتأكد أن هذا الصوت لم يُسْمَعْ بواسطة آلةٍ برقيةٍ.

هذه وآلاف من أمثالها من الواقعات مسجلة في بطون التاريخ، يعرف بها أن مالكي القوى الروحانية ما صاروا عبيدا للعناصر المادية يوما ما، بل هذه الماديات عملت على إيماء الروحانيات، وجعلت نفسها عبيدا لها.

3- التصرف المادي ليس بكمال حقيقي:

لقد اتضح من النماذج الثابتة للقوة الروحانية، والأمثلة الصادقة للخوارق، أن الكمال الأصلي للروح يكمن –في الحقيقة– في استغنائها عن المادية، وتحرُّرِها عن قبضة الوسائل المادية، وإلا فأيُّ تصرُّفٍ للروح في الماديات بواسطة المادة ليس كمالاً خاصًّا، ولا عملاً ممتازًا؛ فإن هناك مادةً تتصرَّف في مادةٍ بدون واسطة الروح، فالغبار يردم البحرَ في قرونٍ بذَرْوِ الرياحِ وتطييرها إياه إليه. والماء الجاري يجعل في الأرض اليابسة المنخفضة مجاري جديدة له، ثم يحوِّلها بحرا، وكذلك يجعل البحر برا بالطريقة نفسها. ويجعل البركانُ الفضاءَ نارا. ويجفِّف الهواءُ الأحواضَ والمستنقعاتِ بهبوبه المتكرر عليها. فإن كان التصرف في المادة كمالاً فتفعل القُوَى الماديةُ أيضا ذلك الكمالَ بدون أيِّ توسُّطٍ للروحانية فيها.

ظُهُورَنَا إِلَى الْجَبَلِ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَتِ الْمَسَافَةُ بَيْنَ الْمَدِينَةِ حَيْثُ كَانَ يَخْطُبُ عُمَرُ وَبَيْنَ مَكَانِ الْجَيْشِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ. أخرجه ابن عساكر في **تاريخ دمشق**، ج20، ص24. وانظر: ابن حجر، **الإصابة في معرفة الصحابة**، ج1، ص410. وهو صحيح.

[6] ففي **تفسير ابن كثير**، ج3، ص264: وقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ أي ناد في الناس بالحج، داعياً لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه، فذكر أنه قال: يا رب! وكيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟ فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه. وقيل: على الحجر. وقيل: على الصفا. وقيل: على أبي قبيس. وقال: يا أيها الناس! إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة، لبيك اللهم لبيك" ثم قال ابن كثير: "وهذا مضمون ما روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف".

[7] فقد روى الإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، ج1، ص554، رقم806 بسنده عن ابن عباس قال: "بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم =

= لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته".



ومن المؤكد أن إنسانية الإنسان أفضل من العناصر بدرجات، وأن الإنسان أعلى وأشرف نوع في المواليد الثلاثة، فلا يكون كماله الذي يمتاز به أو يفتخر به هو ذلك الشيء الذي يصدر عن أشياء أرذل منه، خاصة إذا كانت تصرفات الروح تلك بواسطة هذه الماديات أيضا، كأن الروح غير قادرة على تلك التصرفات بدون تلك الوساطة، إن كان الأمر كذلك فهذا ليس عدم كمالية للروح فقط، بل هو عيب مكشوف فيها بمعنى أنها أصبحت محتاجة إلى أشياء أرذل منها، وتبحث عن كمالها في تلك الأشياء الأرذل؛ لأن أصلَ عيبٍ في كاملٍ هو استكماله بالغير الذي هو أرذل من ذلك الكامل، وأما استكمال الشيء بالأفضل منه فهو خيرٌ فنٌّ؛ لأن كون الشيء ذا كمال بنفسه، وعدم استكماله بالغير هذا شأن ذاتٍ واحدةٍ فحسب، ألا وهي ذات الحق تبارك وتعالى المباركة، التي هي منزهة من كلِّ عيبٍ، ومنبعُ كلِّ كمالٍ. ومن البيِّن أن المعيوب لا يصير كاملا إلا برجوعه إلى الذاتِ منبعِ الوجودِ (أيْ الله تعالى) واستكماله به، تلك الذات التي هي مخزنٌ لجميع الكمالات، ومبرأة من كل العيوب، لا أن يركن لتحصيل الكمالات إلى أرذل منه؛ لأن المادية ليست للإنسان ما يتشرف به ويفتخر به؛ لأن ماديته هي نفس مادية الحمار والثور.

فإن كانت حقيقة العلم الحديث مجردَ أن يقدر الإنسان على التصرفات بالمادة في المواد؛ فلم يخرج الإنسان في هذه الصورة من عُشِّه الْمَبْنِيِّ من النار والماء خروجًا يقال به: إنه نال الإنسانية الحقيقية، بل يثبت أنه إنسان ناقص ومعيوب بعيبٍ أَخْجَلَ فوق التصور، وإلا فلا يثبت له على الأقل فضلٌ تظهر به ميزةٌ للإنسانية.

4- أصل الاحتياج في الإنسان هو المادة:

لو كان في المادة قليل من الاستغناء لكان يمكن أن يحصل للإنسان الاستغناء من عبدية المادة، ولكن لما كانت الصفة الذاتية للمادة هي الاحتياج والتبعية، فكأنَّ المجبورية هي ما تمتاز به المادة، فبدلا من أن يحصل لها الاستغناء من عبوديتها، يفنى الاستغناء الحاصل أيضا، وهو لا يزال يتوحَّل في المجبورية التي هي أصل كل الذلة والهوان، فاستسلام الروح الجوهر المستغني للمادة المجبورة هو بمنزلة خنق ما تمتاز به الروح من شأن الاستغناء.

المطلب الخامس: أخلاق العناصر الأربعة وخصائصها الاحتياجية:

بقي علينا الآن معرفة السبب: لماذا هذه العناصر الأربعة محتاجة؟ ومن أين جاءت فيها هذه المحتاجية؟

من الواضح أن خيريَّةَ شيءٍ وشرِّيَّتَه تنبعث من أخلاقه الطبيعية، وأخلاق العناصر الأربعة الطبيعية والجبِلِّية هي احتياج وعبدية، لذلك كلما تكون علاقة النفس الإنسانية بالمادة والماديات تكون محتاجيتها وعبديتها على قدرها؛ لأن نشأة النفس الأمارة للإنسان وتركيبتها من هذه العناصر الأربعة، مما تؤدي بالإنسان إلى السفلية والدونية والدناءة والمحتاجية، التي تهدي إليها العناصر الأربعة هداية صامتة، ولولا غُلِّبَ على الإنسانية نورُ الروحانية أو لولا أوت



الإنسانية إلى روحانيتها لَمَا بغت هذه العناصر الأربعة أن تخرُجَ الإنسانية من أوحال الاحتياج والعجز، بسبب كون طينة المادة وجبلَّتها الاحتياجَ والعجزَ.

1- التراب وأخلاقه الجبلية هي القبض والبخل:

فالخاصيته الجبلية والأساسية للتراب هي التسفُّل والدونية، وخاصيته المعنوية والأخلاقية هي القبض والبخل، لذلك إذا وُضِعَ شيءٌ في الأرض فتضمُّه إلى نفسها وتريد أن تهضمه، ولا تعطيك إياه إلا بعد أن تشق صدرها وتستخرجه منها أنت بنفسك.

ولما كانت هذه المادةُ القابضةُ والبخيلةُ جزءًا أعظمَ للإنسان، حتى قيل فيه إنه: قبضةٌ ترابيةٌ، جاء فيه طبيعيا ذلك الخلق: القبض والبخل، فيولد الولدُ ويصيح للقبض والبخل أي للأخذ والهضم، لا للإعطاء والترك، أيُّ شيء وضعتَه أمام الولد فهو يرفعه ثم يذهب به طبيعيا إلى فمه، ليقبضه ويهضمه، وإذا استمررتَ في إعطائك للولد ما يأكله يصمت، وإذا سلبته منه يصيح ويبكي.

ومن الظاهر أن القبض والبخل اللذين منشأهما الحرص والطمع يخلقان فيه المحتاجية والعبودية، لا الغنى والاستغناء؛ لأن البخيل يحتاج إلى المعطي، ثم يحتاج إلى الشيء المعطى، الذي لا يقدر على أن يُبعِد قلبَه عنه، فظهر أن البخيل أولُه احتياج وعبدية، وآخرُه احتياج وعبدية، ولما كان هذا الوصف وصفا امتيازيا للأرض، لذلك احتياجُها وذلتُها أكثر من احتياج وذلة العناصر كلها، فيبقى هذا الإنسان الطيني -مادام طينيا- جبليًّا أسيرًا لرذيلة البخل، التي كلها احتياج وذلة، وإن أصبح السخاءُ والإيثارُ حِرفتَه بدلا من القبض والبخل فثمرته هي الاستغناء الذي كله العزُّ والمحبوبيةُ، والذي ليس فيه مكان للاحتياج إلى الغير والعبودية له، بل هو الذي يستخدِم الغيرَ ويُعبِّده لنفسه.

2- النار وأخلاقها الجبلية هي الترفُّع والتعلِّي:

وهكذا النار، جبلتها وخاصيتها الطبيعية هي الترفُّع والتعلِّي، لا تطأطئ رأسها، وإذا كبسناها لمصلحة راجحة لا تنكبس، كأن النار ضد التراب، فهو بكل جسده تسفُّلٌ وتدَنٍّ، وهي بقمَّة رأسها وأخمص قدميها ترفُّعٌ وتعلٍّ، وبالحجة نفسها رفض الشيطان أن يسجد لآدم قائلا: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:12].

ومن الواضح أن الإنسان قد وُضِعَ في خميرته قسطٌ وافرٌ من النار، وكفى بحرارة جسمه دليلا عليه، لذلك عندما يصبح الإنسان مغلوبًا بالتعلي والأنانية تسري فيه موجة الغيظ والغضب، ويتحمَّر وجهُه حمرةَ النار. وخلق الترفع والتعلي كلُّه احتياجٌ وذلَّةٌ؛ لأن حاصلَ تعلِّي الإنسان وترفُّعه محاولةٌ منه لإبراز نفسه كبيرا على الآخرين، أو إيحائه في أذهانهم بأنه كبير، فتبين من هذا أن الترفع في الحقيقة يحتاج إلى وجود الآخرين، وإلى خيالهم، مما يعني أنه إذا لم يكن



أولئك الناس الآخرون، أو لم يلتفت خيالهم إلى أنه كبير، أو مال عنه، فتنهدم تلك العمارة التي بناها لكبره، فأية محتاجية تكون أكثر من أن تكون عِزّتنا في يد الآخرين، ورفعتنا في خيالاتهم.

الغرض أن الإنسان إذا ما بقي سجينا في قفص النار يجعله هذا الخلق الناري محتاجا وذليلا؛ لأن خاصية الاحتياج ذلة ومسكنة.

3- الهواء وأخلاقه الجبلية وهي الانتشار والتوسع:

إن الهواء خاصيته الانتشار والتوسع والعموم، يوجد في كل مكان، يدخل في كل منفذ، ويملأ كل فراغ، الغرض ما من ذرة في العالم إلا وهي عارفة له ومتعلقة به.

ومن المعروف أن الإنسان يوجدُ فيه جزءٌ من الهواء أيضا، يعرف ذلك بالرياح والتنفس وغيرهما، لذلك يريد هذا الإنسان أيضا أن يوجد في كل مكان، ويدخل في كل منفذ، ويكون له حضورٌ في كل زمان ومكان، ولكن لما لا تستطيع نفسه المادية أن تمد رواقها على كل شيء بحيث توجد في كل مكان، لذلك يريد هذا الإنسان أن يطير صيته، ويشتهر اسمه بين الناس بحيث أن يذكروه في كل مكان، وبهذه الطريقة يتمكن هذا الإنسان من وجوده في كل مكان تأسيا بعنصره الهواء.

فتبين أن خُلُق هوى الإنسان للشهرة أثرٌ لذلك الجزء الهوائي فيه، وإذا تأمّلتَ فيه فتصل إلى أن حاصلَ خُلُقِ حب الشهرة هو احتياجٌ، بل عدة احتياجات؛ إذ لا يتم هوى الإنسان هذا إلا بأن يكون هناك: ناس آخرون، ثم أن يعرفوه، ثم أن يُشهِروا أمره في كل مكان، وأن يذيعوه على جناح الريح، خلافاً لضده الذي يقال له الإخفاء والتستر، الذي حقيقته هي فرحته في نفسه، واستغناؤه عن الغير، مع أن ثمرة الشهرة الإلهية التي تترتب على هذا الاستغناء تكون أثبت بكثير من تلك الشهرة الجبلية المصنوعة.

4- الماء وأخلاقه الجبلية هي عدم الكف وعدم الضبط:

وهكذا الماء أيضا لأن فعله الطبيعي هو عدم الكف وعدم الضبط، أي لا يعتمد الماء على نفسه، فلا يستطيع أن يكف نفسه بنفسه، إلا أن تُقامَ في الجوانب الأربعة سدودٌ فينسدّ، ولكن إذا ما انكسر السدّ سال وانتشر هنا وهناك. كذلك هو يجري مستقيما كأنه معتمد على نفسه، ولكن إذا ما وجد منخفضا يمينا أو يسارا جرى معه ويغير مجراه. وإذا حفر شخصٌ في الأرض قليلا فترك الماءُ مكانَه واستقرَّ في هذه الحفرة.



ولما كان في خميرة الإنسان أيضا الماء، لوجود البصاق واللعاب والبلغم والبول والعرق وغيرها فيه، لذلك لا يوجد في الإنسان أيضا أثر لضبط النفس جبليا، رأى شيئا جميلا شهق له. وقع بصره على زوجة لأحد حدَّق فيها. رأى شيئا مقبول الصورة تبعه. رأى عمارة جميلة بدأ ينظر إليها بنظرات طامعة، ليتها تكون له.

فتكسُّر الإنسان وتشتُّته عند مواجهة أيِّ تنزُّلٍ أو انخفاضٍ في حياته، جاءه من عنصره المائي، وحاصله هو نفس ذلك الاحتياج والعجز؛ فعدمُ تملُّكِه ناصيةَ نفسِه عند رؤيته غيرَه مضاهيا له في عمله أو علمه، وفقْدُه صوابَه ورشدَه عند ذلك، دليلٌ على عجزِه وعدمِ قدرته، والعجز أصل الاحتياج. وأما ضبط النفس وتملكها عند رؤية الأشياء الجميلة والاستغناء عنها، وصون النفس من السقوط عليها، هذا كله دليل قدرته، وحاصله هو ذلك الاستغناء. فثبت من هذا البيان أن خاصية الماء الطبيعية أيضا هي الاحتياج والعبودية.

المطلب السادس: أربعة أصول لرذائل النفس وفضائلها:

1- أربعة أصول لرذائل النفس:

ثبت مما قلنا في السابق أن لهذه الأخلاق المادية أو للرذائل أربعة أصول: القبض والبخل، التعلي والترفع، الشهرة والانتشار، وعدم ضبط النفس أي الحرص وهوى النفس، التي تجعل الإنسان محتاجا في كله.

2- أربعة أصول لفضائل النفس:

إذا عرفنا أصول رذائل النفس، عرفنا تلقائيا أن أصول فضائل النفس تكون ضدها، فضد القبض والبخل هو السخاء والإيثار، وضد الكبر والتعلي هو التواضع والانكسار، وضد الشهرة والسمعة هو الإخفاء والتستر، وضد الحرص والسقوط هو ضبط النفس والقناعة.

ولما كانت هذه الأضداد الأربعة أضدادا لأخلاق المادة الأربعة، فهي لا تكون أخلاقًا ماديةً، بل هي تُعَدُّ أخلاقا روحانية للروح التي هي ضد المادة، وهكذا إذا خرجت من جوهر المادة أربعة أصول لرذائل النفس، فخرجت كذلك من جوهر الروح أربعة أصول لفضائل النفس.

3- عدم إمكانية ظهور الأخلاق بدون الأفعال:

ولكن من الحقائق الواضحة أيضا أن الآثار الجبلية للأخلاق لا تظهر إلا بالأفعال، فإذا لم تصدر أفعالٌ مناسِبَةٌ لتلك الأخلاق لا يمكن أن تظهر الآثار الطبيعية لتلك الأخلاق، فمثلا لا تظهر آثار خُلُق الشجاعة إلا بعد فعل المقابلة والمقاتلة، وكذلك آثار السخاء لا تبرز إلا بفعل العطاء، وآثار التواضع لا تظهر إلا بالخضوع أمام المخضوع له، وهكذا كل الأخلاق، لذلك من الضروري أن لا تظهر آثارُ محتاجيةِ الأخلاقِ الماديةِ، وآثارُ استغناءِ الأخلاقِ



الروحانيةِ، إلا بصدور أفعال مناسبة لكل منهما، فهنا سؤال يطرح نفسه، وهو: ما هي الأفعال التي تظهر بها آثار الأخلاق المادية والأخلاق الروحانية؟

4- مظهر الأخلاق المادية هو الإمساك بالشيء:

كلما تأملنا في آثار الأخلاق المادية فما وجدنا حاصلها غير الأثرة والمطْلَبية، ووجدنا أن أساس البخل والحرص وحب الشهرة والتعلي هو هوى الإمساك بالشيء، فيريد أن لا يكون من مال وجاه في الدنيا إلا له فقط، ففي القبض والبخل يمنع مقبوضه عن الغير، وفي التعلي والترفع يتظاهر بأن كل كمال له وليس لغيره شيء، وفي الشهرة والسمعة لا يذكر إلا اسمه، لا غيره.

5- مظهر الأخلاق الروحانية هو الإنفاق:

ولما كانت الأخلاق الروحانية ضدَّ الأخلاق المادية من كل ناحية، لذلك يلزم أن تكون آثارها الطبيعية أيضاً ضد آثار الأخلاق المادية، وكذلك الأفعال التي تُبْرِز تلك الآثارَ تكون ضدَّ أفعالها أيضا. فلما كان أثرُ الأخلاقِ الماديةِ الأثرةَ، يكون أثرُ الأخلاقِ الروحانيةِ الإيثارَ، وفي السخاء يعطي لغيره ما يملكه، وفي القناعة تُتْرَك ممتلكاتُ الآخرين لهم، وفي التواضع يُضحِّي الإنسان بعزَّتِه للآخرين، وفي الإخفاء يُترَك الميدانُ بأكمله لعزة الآخرين.

عرفنا أن أساس جميع هذه الأخلاق الروحانية ليس على المنع أو السلب، بل على العطاء والوهب، فاتضح من هذا أن الفعل الذي يبرز آثار هذه الأخلاق الروحانية لا يكون فعلَ الإمساك أبداً، وإنما يكون ضده وهو فعل الإنفاق، الذي يسمى في اصطلاح الشرع الصدقة، التي معناها في الحقيقة هو إنفاق وإعطاء الروح والمال والعِرْض والقول والعمل لمالك الملك، ثم لما تُتْرَك في الصدقة محبوباتُ النفس ولذائذُ الطبع الذي هو شاق على النفس، لذا يسمى أيضا باسم آخر وهو المجاهدة.

فخلاصة الأمر أن الإمساك الطبيعي يأتي بالاحتياج والضيق، ولا يذهب ذلك الإمساك، ولا يحلُّ محلَّه الاستغناءُ، إلا بواسطة الصدقة والمجاهدة والإنفاق في سبيل الله، فدرجة الإنفاق التي تقع في مقابل الإمساك تذهب على قدرها من النفسِ الإنسانيةِ المحتاجيةُ والعبديةُ، وتتحقق مراتب الاستغناء؛ لأن بالإنفاق تضمحل وتضعف تلك الأخلاق المادية التي كانت تظهر بها أفعالُ الإمساك.



6- كيف يمكن أن يحصل الغنى بالصدقة؟:

عندما يتصدق الإنسان بمال له فيُبعِده عن نفسه، فهو بذلك يقطع أساس القبض والبخل الذي هو خُلُق ترابيّ، وكلما تضعف رذيلة القبض والبخل التي هي أساس الاحتياج، تقوى على قدرِ ضعفِ تلك الرذيلةِ ملكةُ السخاء والإيثار التي هي ذريعة الاستغناء، وبهذا أدرك ذلك الإنسان المتصدق المقامة الأولى للاستغناء

وحينما يشعر هذا المتصدق بلذة العطاء والتصدق، فلا ينظر إلى أشياء الآخرين طمعا وحرصا، بل لا معنى عطائه وتصدقه إلا أنه راغب في إرضاء النفس بأقل ما يمكن، وهذا الذي يسمى "القناعة". فبهذه الصدقة والإنفاق قُضِيَ أيضا على خُلُق الحرص الذي هو خلق مائي، ونال به المقامة الثانية للاستغناء.

والفرق بين مقامتي الاستغناء هو أنَّه في المقامة الأولى قُطِع حبُّه ممتلكاته الذي كان أساس البخل، وفي المقامة الثانية ذُهِبَ بحبه لممتلكات الآخرين الذي هو أصل الحرص، وهكذا فك الإنسان نفسه في باب المال من عبدية نفسه، وعبدية غيره.

ولما تصدق الإنسان بماله سِرًّا وإخفاءًا، قُطِعَ أساسُ حبِّ الشهرة والسمعة الذي كان خُلُقا هوائيا، وبه حصلت للإنسان المقامة الثالثة للاستغناء.

والمتصدق لا يخفي عمله هذا إلا إذا رأى أن عمله أقل قيمة من عمل الآخرين، ولا يجد في نظره أي علو وتفوُّق لعمله هذا في مقابل أعمال الآخرين، وقَطَعَ به أصلَ التعلي والترفع الذي هو خلق ناري، وبهذا فاز الإنسان بالمقامة الرابعة للاستغناء.

والمبالغة في إخفاء عمل الخير مطلوبة في الشريعة الإسلامية، بحيث لا تعلم شماله ما تنفق يمينه؟ ومن أعطاه؟ كأنه أخفى عن نفسه هو أيضًا، وهذا يعني أن ضميره أيضا لا يحس بأي فخر ونخوة، وهو بهذا كأنه لا يتخيل في نفسه أنه أعلى وأرفع من الآخرين، بل يفعله فقط أداءً للواجب، لا أداءً للحق، وبهذا الإخفاء التام للصدقة استؤْصل حب الذات والعجب بالنفس، الذي يحصل به المتصدق على أدقِّ وأهمِّ مقامةٍ للاستغناء.

والمقامتان الأُوْلَيان للاستغناء تصونان الإنسان من احتياجاته للمال، والمقامات الثلاث الأخيرة تحرِّره من احتياجاته للجاه، والفرق بين هذه المقامات الثلاث هو أن المتصدق بعد وصوله إلى المقامة الأولى لا يكون طالبا للجاه، وفي المقامة الثانية لا يبقى كاسبا للجاه، وفي المقامة الثالثة لا يمسي متخيلا للجاه. وهكذا -بتحرير الإنسانِ نفسَه بواسطة هذه المقامات الخمس من الاحتياجات والقيود التي كانت قد ألقته في حضيض الذلة والصغار- يصبح



الإنسان غنيا عن الغير، ومستغنيا عن نفسه أيضا، ففي هذه الحالة إذا نشأت له علاقة فتنشأ مع الله الغني عن العالمين، الذي ليس محتاجا في أعماله إلى أحد، بل كل شيء محتاج إلى مدده تعالى وعونه.

7- لا تظهر الأعاجيب الروحانية وخوارق العادات إلا بقوة التعلق مع الله تعالى:

وفي هذه الحالة، من الضروري أن يَظهَر الغنى الكاملُ من هذا الإنسانِ المتصدِّقِ والعبدِ المجاهدِ وتاركِ ما سوى الله، الذي أوجَدَ نسبتَه مع ذلك الغني المطلق، ولا يحتاج في أي عمل من أعماله إلى الوسائل المخلوقاتية، بل هذه الوسائل نفسها أخذت ترمق إلى إشارات عينيه، وبدأت تصل تصرفاته -لا إلى الأرض فقط- بل إلى السماء أيضا بدون وسائل مادية، فإذا ذهب إلى الأعلى فلا يحتاج إلى طائرات، وإذا قطع مسافات أرضية فلا يحتاج إلى قطارات وسيارات، وإذا أوصل صوتَه إلى العالَم فلا يحتاج إلى هواء وبرق، وإذا أراد أن يسمع نداءات العالَم فلا يحتاج إلى راديوهات وتليفونات.

8- لا يمكن أن يولِّد العلمُ الحديثُ المجرَّدُ هذا الغنى:

ولما ثبت أن موضوع العلم الحديث ومجال عمله هو التصرفات المادية التي ثمرتها هي الاحتياج وذلة النفس، وأن موضوع الإسلام ومجال عمله هو التصرفات الروحانية أي الصدقة والمجاهدة التي يحصل بها الاستغناء وتواضع النفس، فنتج عن ذلك تلقائيا أن العلم الحديث يذهب بالإنسان إلى الذلة والهلاك، والإسلام يذهب به أخيرًا إلى العزة وفلاح الدارين.

الصورة الأولى -أي الغلو في الماديات والمبالغة في العلم الحديث- هي دَوْسُ الروح وغلبة المادة، التي يعز بها الذليل، ويذل بها العزيز، وهذا قلب الموضوع، وموجبٌ لهلاكهما.

والصورة الثانية -أي الاشتغال بالروحانيات والشغف بالإسلام- هي رفع الروح ومحكومية المادة، التي يتبوأ بها العزيزُ مقعده من العز، والذليل يبقى على مقعده من الذلة والمقهورية، وهذا هو عين العدل، وموجب لفلاحهما ونجاحهما في الدرين.

وهذه هي الخطة الإجمالية للعلوم والإسلام، التي تقدمت بها إليكم على قدر علمي، وهذا هو المقصد الأول من المقاصد الثلاثة لهذا الخطاب.

المطلب السابع: العلاقة بين العلوم والإسلام كالعلاقة بين الوسيلة والمقصود:

1- البدنَ المكوَّنَ من العناصر الأربعة وسيلة لعمل الروح:



إن البدنَ المكوَّنَ من العناصر الأربعة مجردُ هيكلٍ، وحياتُه بالروح، والروح تُظْهِرُ علومَها وكمالاتها بواسطة هذا البدن الحي بها، فالبدن وسيلةٌ لظهور كمالات الروح، فإذا أُعْطِيَ هذا البدنُ درجةَ المقصودية بالذات، فكأن الجثة جُعِلت مقصودةً، ومصير الجثة ليس سوى التعفن والتفسخ، ولما كان موضوعُ العلومِ هذه الجثةَ والأشياءَ الماديَّةَ، التي مصيرها الفساد والتعفن وتلويث الأدمغة، فانحلَّ تلقائيا أن أعمال العلوم كلها ليس لها قيمةٌ أكثر من قيمة الوسائل، ولما كان موضوعُ الإسلامِ -بالأصالة- الروحانيةَ والأفعالَ الروحانية، والروح أصلٌ، اتضح أتوماتيكيًّا أن جميع أمور الإسلام لا تنزل عن درجة المقصودية بالذات في أي حال من الأحوال.

فبعد ضمٍّ هاتين الصورتين بعضهما إلى البعض نتج أن البدن كما هو وسيلة لعمل الروح كذلك العلومُ وسيلةٌ وذريعةٌ لأعمال الإسلام، التي حياتُها وروحُها هي الأخلاقُ الإسلامية والأفكارُ الإسلامية والأقوالُ الإسلامية والأفعالُ الإسلامية، فإن لم توجد هذه الروح في الهيكل فتصبح العلوم وتشكيلاتها جثَّةً لا يكون مصيرها إلا انتفاخًا وتفسُّخًا، وتشتيتًا للأدمغة الصحيحة والقلوب الصادقة، وتلويثًا للفضاء النقي الصافي.

فالعلوم التي حاصلها رغادة العيش المحضة واستعمال خزائن العناصر الأربعة بلا روح دينية، والذي يقال له في الاصطلاح "حياة الدنيا"، وجثة بلا روح، جثَّةٌ ترابية هامدة بعد أن بهرت العيونَ ببريقها وزينتها أياما معدودات، يحبها ويتهافت عليها الذين هم عميٌ عن الحقيقة، يقول الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾ [الحديد:20]. والعيش الرغد غير الضروري وجمع الوسائل اسمه في الإسلام هو "الدنيا"، وعاشِقُها يقال له: "أحمق"، قال النبي ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له»[8].

فاتضح حسًّا وعقلاً ونقلاً أن الجسمَ والمادة كما هو وسيلةُ عملٍ للروح، لا مقصود أصلي، كذلك التصرفات المادية التي اسمها "العلوم" يمكن أن تكون مجردَ وسيلةٍ وذريعةٍ للتصرفات الروحانية التي اسمها "الإسلام"، ولن تصبح مقصودة بالذات، فالانهماك في العلوم بعيدا عن المقصود الأصلي "الدين" لا يُعَدُّ فعلا عقلانيا، بل اختيارها وسيلةً وعلى قدر الضرورة يعدُّ فعلا عاقلا. ولذلك أُذِنَ للتحصيل من دنيا العلوم وتصرفات مجموع العناصر الأربعة على لسان النبي

---

[8] رواه أحمد في **مسنده**، ج6، ص71، رقم24464. قال الهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج11، ص196، رقم18078: "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير دويد وهو ثقة".



ﷺ ما تحتاج إليه المقاصد الدينية، حيث يقول ﷺ: «اعمل للدنيا بمقدار بقائك فيها، واعمل للآخرة بمقدار بقائك فيها»[9].

2- ماذا تقتضي منا حقائق العلوم والإسلام؟:

لذلك يجب علينا أن نعرف مجال تقدمنا ورقينا ما هو: العلوم أم الإسلام؟ ثبت عقلا ونقلا أن العلوم وسيلة، لا مقصود أصلي، فلا يمكن أن تجعل العلوم -مطلقًا- ميدانا للترقي والتقدم. وثبت أن الإسلام مقصود أصلي، فهو الذي يُجْعَل ميدانا للجري والترقي؛ لأنه ليس طريقا محضا، وإنما هو مدينة مطلوبة، لذلك لم يوقف القرآن رقي الإنسان، بل أرسل اللهُ الإنسانَ إلى الدنيا لتعميرها وترقيتها، ولكنه سَمَّى الترقيَّ في الوسائل تضييعًا للوقت، والترقي في المقاصد -الذي عنونه بالخيرات والبركات- أوجبه علينا. يقول تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:148]. وقال: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:26].

ولكن الإنسان قلب الموضوع قلبًا جعلَ المقصودَ وسيلةً، والوسيلةَ مقصودًا، والملِكَ عبدًا، والعبدَ مِلكًا، والإسلام تابعًا، والعلوم مقصودًا حقيقيًّا، التي سوف تُرْدِيه في الحفرة العميقة للحرمان والخسران، كما فعلت مع الأمم حتى الآن.

وقد قال نذير الله المبين ﷺ متوجّسا وخائفا من تلك البهرجة المادية وزينتها المزخرفة التي سميت في الشريعة "زينة وزهرة": «والله ما أخشى عليكم الفقر، ولكن مما أخشى عليكم من بعدي زهرة الدنيا تفتح عليكم فتهلككم كما أهلكتهم»[10].

---

[9] لم أجده مرفوعا إلى النبي ﷺ، وإنما أخرجه أبو نعيم في **حلية الأولياء**، ج7، ص56 وصيةً لسفيان الثوري لأحد، فقال: حدثنا أبو أحمد، ثنا أحمد بن محمد بن الحسن، ثنا عبد الله بن خبيق، ثنا عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عبد الله البصري قال: "قال رجل لسفيان: أوصني. قال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها، والسلام". وروى ابن أبي الدنيا في **الزهد**، ج1، ص477، رقم475 و**ذم الدنيا**، ص79، رقم386 فقال: حدثني علي بن الحسن بن أبي مريم، عن الحسين بن زياد المروزي، قال: قال معدان: "اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها، واعمل للآخرة على قدر مكثك فيها".

[10] لم أجده بلفظ الشيخ. وروي فيه عدة أحاديث، منها: حديث عمرو بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: «... فو الله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم» رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، ج3، ص1152، رقم2988؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب الزهد والرقائق، بدون باب، ج4، ص2273، رقم2961؛ والترمذي في **سننه**، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب رقم28، ج4، ص640، رقم2462. ومنها حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «أخوف ما أخاف عليكم، ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا» قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: «بركات الأرض ...» رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، ج2، ص727، رقم1052.



3- أضرار الماديات المحضة:

إن أضرار الماديات أنها ترسِّخ قدمها في ميدان العلم أولاً، فتُفْسِدَ على الناس اعتقادَهم، ثم تحتلُّ ميدان العمل، فتقضيَ على عزيمة الناس للعمل، بحيث إن الماديات لا شعور لها؛ فلا يملك واحد من العناصر الأربعة النار والماء والهواء والتراب شعورا، وإلا فلا يكون مسخَّرًا بيد الإنسان.

ثم لما كانت هذه الماديات أنواعا للمحسوسات لذا لا يستطيع المولعُ بها وأسيرُها الإنسانُ أن يصل إلا إلى أعماق الحس فحسب وأسراره، وإلى ما يتعلق بالحواس الخمس: العين، والأنف، والأذن وغيرها، لذلك عبَّاد العيون والأذن لا يدورون إلا ما تشاهده العيون وتسمعه الأذن، ولا يستطيعون أن يصلوا إلى علوم القلوب، وعلوم الأرواح، وعلوم الحقائق أبدا، ومن الواضح جدا أن العلم الذي لا يعرف عنه الإنسان شيئا، ومع ذلك يتوجه إليه، فلا يكون مبلغ علمه إلا أوهاما وخيالات وشكوكا وشبهات، ولا يكون علوما ومعارف أبدا، لذلك تَحْدِق بالإنسان المادي الشكوكُ والشبهاتُ في الميادين الروحانية، التي هي في الحقيقة ثمرةٌ بسيطةٌ للانهماك في الماديات، وليس علاجُه إلا أن يرجع إلى الروحانيات التي هي منشأ العلوم والإدراكات، ويُشعَل في القلب مشعلُ العلم الذي تبتعد به ظلمات هذه الأوهام والوساوس.

4- موعظة لطلبة الجامعات:

إن المسلمين عامة، وطلبة الجامعات خاصة، يحملون عقليةً حداثيةً خاليةً عن تلك الأنوار العرفانية مطلقا، التي كانت تمثِّل ترياقًا للشكوك والشبهات، وجُنَّةً للوساوس والأوهام، مما رسَّخ الريبَ والارتيابَ والتحيرَ في القلوب، وجعلها أجنبيةً عن الحقيقة الأصلية، وإذا لم تدخل في القلوب أنوارُ الإيمان الشفافة التي كانت تنقشع بها ظلمات الجهل، وتندفع بها الشبهات الناشئة عنها، وتصبح بها تجليات مشاهدة الحق جوابا عن كل سؤال، فلا فائدة في مراودة القلوب ودغدغتها بالتعبيرات العلمية المحضة. وإيجادات العلم التي تريدون سماعها في مثل هذه الخطب الرنانة هذا ليس وقته، وإنما وقته حين يكون رأس مال العلم الأصلي باليد، أما هنا فلا خبر للإيمان، ولا رائحة للروحانية، فكيف الوصول إلى العمل؟!

5- طرق دفع الأضرار المادية:

لذلك أنا أشير عليكم، بل لست أشير، وإنما حقيقة الإسلام أيضًا تقتضي منكم أن تتركوا تزيينات الظاهر هذه وتلميعاته، وتضميداته تلك وترقيعاته، وتُنَقُّوا من تلك المادة ذلك الفساد الذي أوجده فيها الانهماك الزائد والغلو المفرط في العلوم المادية، وسقاه علم الفلسفة الذي هو جهلٌ في الحقيقة، ففي هذه الحالات والظروف يجب عليكم



أن تبرزوا الروح بدلا من الجسم، التي هي منبع العلوم في الإنسان، الذي حلقته الأولى أن يبتعد عن هوى النفس والشهوات المادية، ويرجع إلى منبع الجود والكمال ذات الحق تعالى، الذي تأتي منه أضواء العلم والمعرفة، وتُضَيِّق على الشكوك والوساوس مداخلها ومنافذها.

6- استحكام التوحيد ورسوخه:

استحكام التوحيد ورسوخه، وبلفظ آخر: تركُ تعدُّدِ المطالب والشرك، واختيار الاستقامةِ على التوحيد، الذي هو روح الإسلام وأصل الأصول، وطريقته أن يُذْكر الله مرات وكرات، ليقع وقْعُه على القلب ويترسخ التوحيد. يقول النبي ﷺ: «جدِّدوا إيمانَكم بقول لا إله إلا الله»[11].

ولا تَصَوَّرْ في "لا إله إلا الله" توحيد الذات فحسب، بل تخيَّلْ في هذه الكلمة أيضًا التوحيدَ (المطلق الذي يشمل توحيد الذات والصفات معًا) أي كما اكتسبتَ بهذه الكلمة توحيدَ الذات، كذلك حاوِلْ أن تكتسِبْ بها توحيد أسماء الله المائة أو صفاته المائة أيضًا[12]، كأن إثبات الألوهية ونفيها كامنان في تركيبة كلمة التوحيد، فيُثْبَت ويُنْفى أيضا الرحمانية والنافعية والضارِّية وغيرها هكذا: لا رحمن إلا الله، لا مالك إلا الله، لا نافع إلا الله، لا ملك إلا الله، وغيرها.

فلمَّا يستقرُّ في الذهن أن المالك أيضا هو الواحد، والنافع أيضا هو الواحد، والضار أيضا هو الواحد، تظهر ثمرته تلقائيا، وهي أن تذهب من قلبه عظماتٌ أخرى، وتبقى فيه فقط عظمة الذات الواحدة، وهذه الوحدة والوجهة الواحدة هي قوة القلب، ومن الواضح أن عبدا واحداً لا يستطيع أن يُرْضي سيدين له في وقت واحد، هو دائمًا يكون مشتت البال، متفكر الخاطر، متردد الفؤاد، ومذبذب العقل، مما يُحْدِث في قلبه ضعفًا، ولكن الإنسان الذي يؤمن بأن سيده واحد فقط، وهو مالك الكل على الإطلاق، وبيده كل شيء، وهو متصرف فيه، فهو لا يكون

---

[11] أخرجه أحمد في **مسنده**، ج2، ص359، رقم8695؛ وعبد بن حميد في **منتخبه**، ص417، رقم1424؛ وابن الأعرابي في **معجمه**، ج3، ص109، رقم1108؛ ومحمد بن نصر المروزي في **تعظيم قدر الصلاة**، ج2، ص787، رقم799؛ وأبو نعيم في **الحلية**، ج2، ص357؛ والحاكم في **المستدرك**، ج4، ص285، رقم7657 بأسانيدهم عن صدقة بن موسى، ثنا محمد بن واسع، عن شُتَيْر [أو سمير] بن نَهَّار العبدي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:= =«جددوا إيمانكم». قالوا: يا رسول الله! وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «أكثروا من قول لا إله إلا الله». قال المنذري في **الترغيب والترهيب**، ج2، ص268، رقم2352: "رواه أحمد والطبراني، وإسناد أحمد حسن". وقال الهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج1، ص58، رقم159: "إسناده جيد، وفيه سمير بن نهار وثقه ابن حبان". وقال الحاكم: "صحيح الإسناد". وخالفه الذهبي فقال: "صدقة ضعيف".

[12] قلت: ولله تسعة وتسعون اسما، وليس مائة كما جاء في حديث أبي هريرة عند البخاري في **صحيحه**، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد، ج5، ص2354، رقم6047 عن أبي هريرة رواية قال: «لله تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحدا، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر».



مترددا بل يصبح متيقنا ومطمئنا، وهذا اليقين والطمأنينة أساس قوة القلب، تتركز بها قوَّتُه الفكريةُ على مركز واحد، وتظهر بعد ذلك على يديه أعاجيب الفكر وغرائب العلوم، وتزيد في بصيرته ومعرفته.

وبهذه القوة اليقينية صدر ما صدر من الصحابة الكرام والسلف العظام من أعمال محيرة للعقول، وتحيَّر بها العالَم المتمدن حتى يومنا هذا، ولم يكن تقدمهم المدهش وأفعالهم الطوفانية رهينة بالغنى المالي، ولا بالغنى العقاري، بل الغنى ذاته كان يأتي بتلك الأفعال ويذهب، لذلك صحِّحوا اعتقادكم في التوحيد الذي هو أساس كل خير وكمال.

7- ذكر الله وطريقته الابتدائية السهلة:

وهذه الفكرة التوحيدية لا تترسخ في القلب ولا تثبت إلا بطمأنينته، وإلا فلا تدَعُك الوساوسُ والتشويشاتُ الفكريةُ أن تبقى على هذه الحقيقة الصافية النقية، ولذلك وصف القرآن الكريم وَصْفَةً لإحداث الطمأنينة في القلب، قال: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:28].

المقصود بالذكر في الآية هو الذكر القلبي، وهو لا يترسخ في القلب إلا بتكريره باللسان مرات ومرات، كما يكرر الطالب درسه باللسان ليحفظه في صدره، لذا اجْعَلِ اللسانَ ذاكرًا أولا، فيصير القلب ذاكرًا ثانيًا، ويتجذر هذا الإيمان والتوحيد في القلب، ويطمئن عليه الفؤاد ويقتنع.

ولذلك ذكرت الشريعة الإسلامية عدة صور لذكر الله تعالى، ولكن للأسف الشديد لا استعمال لها في هذه الأيام، وحتى لا يعلمها المسلمون عامة، والطبقة المثقفة منهم خاصة، فأولا فرضت الشريعة علينا فرائضَ، وهي أكبر مَظهرٍ لذكر الله، فرضها على كل مسلم، فالتزموا بأداء الفراض من الصوم والصلاة وغيرهما، وكذلك وضعت الشريعة في مختلف المناسبات والمواقع أورادًا تتضمن ذكر الله، فبنطقها يجري على اللسان ذكر الله تلقائيا، مثلا: بِسْمِ اللهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، جَزَاكَ اللهُ، إِنَّا لِلَّهِ وإنا إليه راجعون، مَا شَاءَ اللهُ، إِنْ شَاءَ اللهُ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، سُبْحَانَ اللهِ، وغيرها من الأوراد التي تلهجون بها ليل نهار، فإن استعملتموها فيحصل لكم الاستغناء عن لغات الأغيار، وما من عمل من أعمال حياتكم التي لها علاقة بالكلام إلا وفي تعبيراته اسم الله، كأن العائش في المجتمع الإسلامي مدفوع بنفسه إلى ذكر الله تعالى بدون قصد وإرادة، ولكن مسلم اليوم لا يبالي بلغته الدينية التي كان الله يوفقه بها لذكره كل وقت بالإرادة وبدون الإرادة، هو بصدد محوها، مع أن الإسلام كان قد أكد تأكيدا بالغا للمحافظة على اللغة العربية وتعبيراتها؛ لأن للُّغة أثرًا في صنع الثقافة والحضارة، وعامة أحوال الحياة، لذلك في بداية الاحتلال الإنجليزي للهند وجَّه علماء الهند عامة، وعلماء دارالعلوم ديوبند خاصةً، المسلمين إلى أن لا يُعِيْروا –مع المحافظة على عربيتهم– للغة الغير وترويجها وإشاعتها اهتماما كبيرا بحيث تصبح هي قلبتهم الأولى ومقصودهم الأصلي، ولكن المسلمين آنذاك ما سمعوا نداء أولئك العلماء



المتبصِّرين، وما أصغوا إليه، ونتيجةً لذلك هم تعرضوا لسوء عاقبته، من أنهم تغيروا صورةً وسلوكاً في مجتمعاتهم التمدنية والحضارية، ولم يبق عندهم من الإسلام شيء، فضلا عن بقاء عملهم الديني على صبغته الأصلية.

ولكن التوبة والرجوع إلى الرشد ليس له وقت مخصوص، فتوبوا وارجعوا إلى ذكر الله، وإن لم يمكن لكم أن تلتزموا اليوم بذكر الله التزاما تاما، فعلى الأقل اسعوا للحفاظ على اللغة العربية من حيث إنها لغة، واحفظوا تعبيراتها الدينية، ليجري بذلك على ألسنتكم ذكر الله، النطق باسم الله ولو كان بدون إرادة، ولكنه يترك أثرا له في القلب.

8- صحبة الصالحين والتعلق مع أهل الله:

ولكن التوفيق لهذه الأمور لا يتسنَّى إلا أن تُجْمَعَ معها أسبابُ التوفيق، وأكثر الأسباب تأثيرا هو مصاحبة الصادقين ومرافقتهم، لذلك قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:119].

لذلك، الجاهلُ المصاحِبُ لأهل الله يفهم مقاصدَ الدين أكثر من العالم غير المصاحب، ويصطبغ بالصبغة الدينية، ويصبح متبعا للدين، لذلك أنا أنصحكم بأن تجعلوا الصلة مع أهل العلم والربانيين مقصدا أصليا لحياتكم؛ إذ لا يثلج الصدرُ بالاستدلال فقط، ولا تقر العين باليقين العقلي فحسب.

ولله در الشاعر الهندي "أكبر" يقول (ما ترجمته):

لا يجد الفلسفيُّ اللهَ في بحثه وحجته   يبحث عن رأس الحبل المتشابك ولا يجده

ثم يقول في حصول اليقين وتدبير الدين (ما ترجمته):

لا يأتي الدين بالكتب والمواعيظ والذهب   وإنما يأتي الدين بنظر الربانيين الصائب

لذلك أنا ألتمس منكم أيها الإخوة الأعزاء! أن لا تبتعدوا عن أهل الله، بل أحدثوا فرص ربطٍ بهم، ليحصل لكم الدين واليقين، وتذهب عنكم الشكوك والشبهات، وإلا فلا تصلح النفوس بمثل هذه الخطب الرنانة ولا سيما في مثل هذه المسائل الكلية التي تشتمل على حقائق علمية، وإنما تصلح النفوس عندما تكون القلوب معمورة بذوق اليقين، ولا تصطبغ بصبغة الدين إلا بقوة العمل وصحبة الصلحاء، لذا أوجبوا على أنفسكم ألا تنسوا الروحانيات في خضم الماديات.

9- خلاصة الكلام:

اتضح من الكلام السابق حقيقة الإسلام وغرضه وغايته، أي أنه بحثِّه الإنسانَ على السعي في ميدان الروحانية يريد أن يوصل الإنسان في الرفعة والعزة والطمأنينة والبشاشة إلى أوجها الدائم، وإلى قمَّتها الشامخة، وذلك لأن الرفعة والعزة الدائمتين ليستا إلا في الروحانية. وتبين من البيان السابق حقيقة العلوم وغرضها وغايتها أيضا أي أنها بتشغيل



الإنسان في الميادين المادية تدفعه إلى قعر الذلة والخسران، وذلك لأن مصير الماديات المحضة هو الفناء والهوان، وفي آخر الأمر لا يستطيع الإنسان المغرور بالعلم الحديث أن يحافظ على منافعه المادية، ولا أن ينال منافعه الروحانية أيضا، واتضح كذلك النسبة بين العلوم والإسلام، وهي أن بينهما نسبة الوسيلة والمقصود، التي حاصلها أنه لا يكون مصيرها مبشرا بالخير، إلا إذا كان أفعال العلوم خادمة للمذهب، وذريعة للحصول عليه.

واتضح أيضا أن الإسلام لما كان مقصودا بالذات، والعلوم وسيلة له، تقتضي مقصودية الإسلام أن يُجْعَل الإسلامُ ميدانا للترقي والتقدم، لا العلوم؛ لأن الترقي يكون في المقاصد لا في الوسائل والذرائع، أيْ تُخْتَار معمولات العلوم على قدر حاجة الإسلام إليها فقط، لا أكثر.

المطلب الثامن: الربط بين مباحث الخطاب وحديث العنوان:

هذه هي المقاصد الثلاثة التي وعدت في بداية الخطاب بشرحها في ضوء حديث العنوان، فأحمد الله تعالى على أني قد شرحتها نوعا ما، وأريد الآن أن أختصر المباحث الطويلة لتلك المقاصد الثلاثة وأطبقها على هذا الحديث، وأبين أن جميع التفصيلات التي ذكرتها هي في الحقيقة شرحٌ لعدة جمل جامعة وبليغة في الحديث، وهي مستنبطة من تعبيراته، فقد جاء في أول الحديث ذكر العناصر الأربعة جوابا عن سؤال الملائكة، التي هي مادة العالَم وأصل مواليدها الثلاثة (الحيوانات، والجمادات، والنباتات)، التي خُلِقَت منها هذه الدنيا.

ثم جاء ذكر هذه العناصر الأربعة في الحديث بأسلوب بليغ، حيث ألقي فيه الضوء الكافي على مراتب كل منها في الشدة والضعف، فالتراب أضعف العناصر، ثم الحديد –الذي هو أيضا من أجزاء الأرض– أقوى منه، والنار أقوى منه، والهواء أقوى منها، واستمر هذا البيان إلى قوله: «نَعَمْ، الريح».

وبعد ما انتهى عن ذكر هذه العناصر المادية، انتقل إلى بيان أعلى المواليد الثلاثة وهو الإنسان، وذكر بقوله: «نَعَمْ، ابن آدم» أن الأشد والأقوى من جميعها هو الإنسان، وكذلك وضحتُ في السابق بذكر الأفعال التي يمارسها الإنسان في تلك العناصر، أن الإنسان هو ذلك النوع الذي تتسارع لتلبية حاجاته كلُّ العناصر، وكلُّ المواليد.

ثم انتقل الحديث الشريف من هذه الماديات إلى الروحانيات، وذكر أن ابن آدم ليس أقوى وأشد على الإطلاق، وإنما بشرط أن يكون روحانيا، ولا يبقى ماديا، أي يترك الماديات، ذكره في قوله: «تصدَّق بصدقةٍ»؛ لأن الصدقة "ترك ما سواه" أو "ترك الماديات".

ثم انتقل الحديث من الروحانية، متوجهًا إلى بيان أعلى مقامات الروح الذي هو التجرد الخاص، والبراءة عن الغوائل النفسانية، والنزاهة عن كثافة الأخلاق، ثم التحلي بلطافة الأخلاق، وذكر أن تصدق الإنسان فقط أو الانقطاع عن



الماديات لا يعني شيئا، ما لم يتزود بالإخلاص، ولم يتخلَّ عن الرياء، وهذا الذي سُمِّيَ "إخفاء الصدقة"، الذي ذكر في الحديث بقوله: «يخفيها»، أيْ المتصدِّقُ المحضُ يُصبح أقوى وأشد منه المتصدقُ المخلصُ الذي لا دخل للرياء في صدقته، كأن تكون هذه الصدقة وترك الماديات حسبةً لله، ويصير هذا المتصدق يتصدق وهو روحاني، لا مادي.

ثم ذكر أن إخفاء الصدقة عن المخلوق ليس كافيا لقوتها وشدتها، ما لم يُخْفِ عن نفسه أيضا، أعني لا يشوبها عجب النفس، ولا حب الذات، ولا يعتبرها في نفسه شيئا يُذْكر، كأن المتصدق إذا تصدق ربانيا، لا نفسانيا، فيصبح أقوى وأشد من كل من العناصر الأربعة، ومواليدها الثلاثة، وجميع الإنس، وجميع الناس المتصدقين، وجميع المتصدقين المخلصين غير المرائين، وإلى هذا المقام أشير في لفظ: «يخفيها من شماله»، أعني تكون الصدفة مخفية بحيث لا تعرف شماله ما أنفقته يمينه، ومن أنفقتْ عليه.

ثم من الظاهر أن الإنسان بهذا الشأن التام للاستغناء والترك لم يترك الدنيا فحسب بل ترك نفسه أيضا، ولما لم يفعل ذلك رياءًا للدنيا، ولا للنفس، فثبت أنه لم يفعل ذلك إلا لله سبحانه وتعالى، وكونُها لله مَنَحَ ذلك الإنسانَ المتصدقَ ضعيفَ البنيانَ قوةً سخَّر بها سائر الماديات وعناصرها ومواليدها، مما اتضح به وضوحًا تامًّا أن القوي المطلق والشديد المطلق في الحقيقة هو الله سبحانه تعالى، وأن كل قوةٍ و كلَّ شدةٍ تكمن في السعي إليه وإيجاد النسبة معه. وقد أثبتنا في السابق أيضا مستفيدا من ترتيب الحديث أن القوة والطاقة تكون على قدر اللطافة، فثبت أيضا بدلالة الحديث أن الله الذي هو مخزن القوة والطاقة هو مخزن اللطافة اللامحدودة أيضا، وهذه اللامحدودية هي أن لا تراه الأبصار أيضا ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:103].

ولذلك ثبتت بالحديث أيضا هذه القاعدة القائلة بأن "لا قوي ولا متين إلا الله"، ثم من ينشئ المناسبة معه يصير قويا بقدر تلك المناسبة. وطريقة إنشاء المناسبة مع الله هي الابتعاد عن الماديات، والتوجه إلى الروحانيات، عن طريق التصدق، ولما كان المتصدق المخلص الخالي عن عجب النفس والرياء ينشئ مناسبة كاملة مع الله لذا هو حامل اللطافة الكاملة، وأقوى من كل إنسان في العالَم.

النتائج اللطيفة لمباحث الحديث:

رتَّب الحديث الشريف محتوياته ترتيبا رائعا، حيث إنه ذكر أولا كل كثيف، ثم كل لطيف، ثم جعل كلَّ مذكورٍ مؤخرًا أشد وأقوى من المذكور مقدَّمًا، فثبت من هذا البيان المرتب أن معيار الشدة والقوة ليس إلا وصف اللطافة، وترتيبه الطبيعي لا يتحقق إلا بأن يكون الألطفُ من التراب الحديدَ، ومن الحديدِ النارَ، ومن النارِ الماءَ، ومن الماءِ الهواءَ، ومن الهواءِ الإنسانَ، ومن عامة الناسِ الإنسانَ تاركَ الدنيا، ومن عامة التاركين التاركَ المحضَ والزاهدَ غيرَ المرائي الذي



قلبه أطهر من شواغل الدنيا، وأرفع من حب الماديات، وأنفر من الكثافات المادية، ومحور اللطافات الروحانية، كأن لا يكون حامل اللطافة الكاملة إلا الإنسان الروحاني الرباني، الذي لا ينهمك في خدمة البدن، بل ينشغل بتكميل الروح، وتصبح الأعمال الروحانية شعارا له، بدلا من التصرفات المادية.

لطافة الروح في تديُّن الإنسان:

كلنا نعلم أن تعليمَ طرقِ نيل الربانية وأساليب إقامة الشعائر الروحانية من موضوعات الدين، لا من موضوعات العلوم، وبلفظ آخر نقول: إنه لا يكون الألطفُ والأقوى إلا الإنسانَ الذي يكون متدينًا أكثر، بحيث أن يجعل الدينَ كلَّ شيء بالنسبة له، لذلك كما يستفاد من الحديث الشريف معيار القوة والشدة الذي هو اللطافة، كذلك يستفاد منه طريقة اكتساب اللطافة التي هي الدين، الذي يأتي باللطافة بواسطة ترسيخ الروحانية، وهكذا تصبح الروح مَلِكا، الذي هو منصبها الأصلي، والجسم خادما لها، الذي هو منصبه الحقيقي، والنفس كنَّاسًا يكنس بمكنسة التقوى أوساخ السيئات وزبالتها، ولا يسرق ولا ينهب، ويصبح العقل وزيرا يشير على الملك بمشورات مفيدة، ونصائح نافعة، ويكون الوحي الإلهي قانونا ودستورا له يهديه الصراط المستقيم، وهكذا وبحكم الروح المنظَّم ينتشر عدل الروحانية في أطراف العالَم الأربعة، ويحبس اللصوص وقطاع الطريق الذين يبثون الفتنة، وينقضون الأمن.

ثم إذا كان البلد آمنا وقويا منظَّما بحاكمه اليقظ، ووزيره العاقل، ودستوره الواضح، فلا يتجرأ الأعداء من الخارج على الهجوم عليه، ولا يعثون فيه فسادا، ولا الخائنون والسارقون من الداخل يتجاسرون على أن ينقضوا الأمن والسلام، يقول الله سبحانه وتعالى في العدو الخارجي أي الشيطان: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:99]. وقال في العدو الداخلي أي النفس الأمارة: إنها تترك العصيان وتتبع القانون، وتصبح بذلك مطمئنة راضية، يقول تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ • ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر:27-28].

أسس الإسلام:

تلخص لدينا مما سبق من المباحث أن العالَم منقسم على قسمين: المادية والروحانية، أو العلوم والإسلام، فأساس الإسلام والروحانية حسب إشارة الحديث على أصلين: أولهما: ترك ما سوى الله الذي عُبِّرَ عنه في الحديث بالصدقة. وثانيهما: الإخلاص الذي عُبِّرَ عنه فيه بالإخفاء.

وحاصل الأصل الأول أن تُخْرِجَ من نفسك حبَّ جميع ما سوى الله من الدنيا، والنفس، وهوى النفس وغيرها التي تُخِلُّ بحبه تعالى. وحاصل الأصل الثاني أن لا يترك ما سوى الله إلا لإرضاء ذلك المحبوب الأوحد الذي خلق الأرض والسماء، لا لحب الذات، ولا للأنانية، ولا للعجب بالنفس، ولا للرياء.



أسس العلوم:

لما كانت العلوم ضد الإسلام، تكون أصولها ضد أصوله تلقائيا، فضدُّ ترك ما سوى الله هو حب ما سوى الله، وضد الإخلاص هو النفاق. وحاصل حب ما سوى الله أن يحب الإنسانُ كلَّ غيرِ الله وكلَّ باطلٍ، ويترك اللهَ والحقَّ، ولما تكون النفسُ أسبقَ في حب غير الله لذلك النفس تكون أولَّ وأحبَّ لديها من كل شيء، ولما كانت النفس تحب كل اللذائذ المادية لذا تكون لدى الإنسان أيضا بواسطة النفس كل اللذائذ المادية أحب، التي اسمها "الدنيا"، كأن حاصل حب ما سوى الله هو حب الدنيا وحب النفس.

وأما حاصل الأصل الثاني "النفاق" فهو أن هذه النفس الجاهلة بسبب عدم معرفتها الحقيقة تُظْهِر أن مقصودها الأصلي هو اللذائذ المادية التي ظاهرها مزين، ومصيرها (باطنها) بَشِعٌ، ولكن لما كانت هذه اللذائذ في حد ذاتها – بسبب عدم تمتعها بأية رفعة وحسن عاقبة– لا قيمة لها عند أهل البصيرة، الذين يرون أمثال هذه النفوس الدنيئة مستحقة للوم واللعن، لذلك تسعى هذه النفوس الدنيئة لإقناع الناس بمعقولية مطلوباتها الخسيسة متستِّرةً بستار الأصول والانتظام، وتُبْرِز جميعَ العواطف النفسانية التي هي خلاف المذاق السليم في لباس الكمالات، محاولة منها لجعل مطلوباتها البراقةَ تلك، ذاتَ قيمةٍ في أنظار الناس.

فمثلا عامة اللهو واللعب والرقصات والأغاني السوقية يقدمونها بعنوان "الفنون اللطيفة"، والفسق والفجور المنظمَيْن يسمونهما الثقافة والحضارة بعد إضفاء الشرعية القانونية عليها، ويعنونون الاستعمار ونهمة الأرض بالتقدم والرقي، وإراقة الدماء بالآلات الحربية الفتاكة وهلاك الإنسانية يسمونها حرب الحق والصدق وإقامة الأمن، ويعبرون عن توفير وسائل الطرب والفسق بإعلاء شأن المجتمع ورفع قدره، فهم بذلك يعبدون النفس وهواها في الحقيقة، ولكنهم تلاعبوا بالألفاظ وسموه بعبادة الحق، وهم يطيعون النفس ومطالبها وسموها بالطاعة الصادقة.

فتخفي هذه النفوسُ الماديةُ أهواءَها النفسانية في واجهات العناوين البراقة، وتسعى لزيادة قدرها وقيمتها في قصَّات الملابس الخلابة، مع أن الحقيقة خلاف ما هي عليه.

ومما لا شك فيه أن حقيقة النفاق ليست إلا أن يكون في الباطن شيء، وفي الظاهر شيء آخر، وأن يكون الباطن وسِخًا، والظاهرُ جميلا، وينخدع به الناظر إليه.

ومظاهر الحضارة المادية الجميلة هذه، عبر عنها القرآن الكريم بالزينة، التي حقيقتها ليست أكثر من أنها في الباطن لا شيء، وفي الظاهر تلميعات سطحية تجعلها خادعة للنظر. يقول الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ



وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:14].

فجُعِل في هذه الآية الكريمة زينةُ الدنيا عبارةً عن عبودية الشهوات، وحب المال، وأسباب المفاخرة والرياسة، التي خلاصتها الرغبة الجامحة للتكاثر المالي والجاهي، وذُكِرَ أن في النساء والذهب والأرض وغيرها من الأشياء لذةً سطحيةً عاجلةً موقتةً زائلةً؛ لأن باطنها ظلامٌ حالكٌ، ومصيرُ شغفِها كدورةٌ ومرارةٌ؛ ولو صُبِغَت بصبغات غليظة، وكُسِيَتْ بعناوينَ خلاَّبةٍ، حاصلها كلها ظاهر لا حقيقة له، يقال له في اصطلاح الشرع "النفاق".

إذا تأملنا فيظهر أن حقيقة الأصلين للعلوم "حب ما سوى الله، والنفاق" باطلة، فبطلان النفاق واضح جدا لأن معنى الباطل هو أن في ظاهره شيئا كثيرا، وفي باطنه لا شيء، ظاهره لَمَّاع، وباطنه مظلم، ولما كانت حقيقة النفاق أيضا كذلك أيْ ظاهرُه شيءٌ وباطنُه شيءٌ آخرُ، فاتضح بطلانه.

وأما "ما سوى الله" فهو أيضا ترجمة "الباطل"؛ لأن كلَّ ما سوى الله يأخذ وجودَه من الله سبحانه وتعالى، فلا هو قائم بنفسه، ولا موجود بنفسه، لذا لا وجود حقيقةً ولا كمال في ذات "ما سوى الله"، بل يظهر به مجردُ وجودِ الحقِّ تعالى ووجود كمالاتِه، ولما لم يكن وجودٌ لما سوى الله –سواء أكانت النفس الإنسانية، أم المواليد الأخرى، أم العناصر الأربعة، أم الأجزاء الأخرى للكون–، ولكنها موجودة وجودا ظاهراً لا حقيقة له، نتج عن ذلك أن كل ما سوى الله باطل بذاته، «ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[13].

ولما كانت العلوم قائمة على هذين الأصلين الباطلين، أولهما "ما سوى الله" وهو باطل آفاقي، وثانيهما "النفاق" وهو باطل أَنْفُسِيٌّ، تبين منه أن حقيقة العلوم المادية كلها ليست إلا البطلان وحبّ البطلان، ومع ذلك يفتخر بها علماؤها، ويتبجحون بها بحيث ترتج بها الأرض والسماء.

نعم، لو اختير الله فحسب، بدلا من "ما سوى الله" لكان حقًّا، وكذلك لو اختير الإخلاص بدلا من النفاق لكان حقا أيضا، وإقامة العلاقة مع الله بالإخلاص هو الإسلام، فتبين أن الإسلام قائم على أساس الحقِّ الذي لا أثر للباطل فيه، لذلك نحن لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن العلوم الحديثة اسمٌ لشغبٍ وباطلٍ لا أساس له، والإسلام اسمٌ لحقيقةٍ ثابتةٍ وحقٍّ، أصله ثابت ومستحكم، وكلمة الباطل لا أساس لها، وكلمة الحق ثابتة على أصلها وراسخة، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا

---

[13] رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب فضائل الصحابة، باب أيام الجاهلية، ج3، ص1395، رقم3628؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب الشعر، ج4، ص1768، رقم2256 بسنديهما عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل».



كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (26)﴾ [إبراهيم].

دفع شبهة:

ولكن لا يفهم من كلامي هذا أني أمنع الناسَ عن العلوم الحديثة بذاتها، وأمنع عن إيجاداتها وإبداعاتها، أو أفتي بحرمة تعليمها ودراستها، أو أقول: إن الاشتغال بها باطلٌ كليةً، وإنما أقصد به ما ذكرته في الخطاب بعناوين مختلفة، وهو أني أمنع عن أن تُجْعَل العلوم مقصودًا أصليًّا ومطلبًا رئيسًا، وكلُّ هذه الجهود التي تُبذَل الآن في سبيل العلوم لو كانت قد بُذِلَت في سبيل مقصودٍ حقيقيٍّ لَمَا كان جائزا فقط، بل كان مطلوبا في هذه الأيام، وذلك المقصود الحقيقي ليس هذه الدنيا المادية؛ لأنها وسيلة فقط، ولا المنافع المادية؛ لأنها أيضا وسيلة فحسب، وإنما يكون المقصود الأصلي لمسلمٍ هو الآخرة وديانته المذهبية، التي خُلِقَ الإنسان لأجلها.

فالعلوم بدون صلتها بالدين شجرة خبيثة، لا ثبات لها ولا قرار، ولكنها إذا اتصلت بالدين خادمةً له، وذريعةً للمطلوب، فهي نافعة ومفيدة، وداخلة في الكلمة الطيبة، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ولكني أحس –بالشدة– بأن الجهود التي تُبْذَل للعلوم الآن يبدو أنها تُبْذَل لشيء مقصود بالذات، ولأجل ذلك يتهافت عليها الناس، وأنا أرى أيضًا أنه لم يُجْعَلِ الدينُ معيارًا لقبولِ العلوم وردِّها، بل استُعْمِلَتِ العلومُ في كثيرٍ من الأحيان لمخالفة الدين، حتى قيل: إن العلوم زلزلت أسس الدين ودعائمه، كأن العلوم شيء مقصود بحيث لا يصلح الدينُ وسيلةً لها، فضلا عن أن يكون مقصودَها.

ومن الممكن جدا أنْ كانت هذه العلوم قد عَمِلَتْ في ديانات العالم القديمة عملاً تخريبيًّا، ولذلك قيل ما قيل، ولكني أؤكد لكم أن الدين الوحيد الذي تسير العلومُ مع كل صغيره وكبيره، هو دين الفطرة "الإسلام"، لو أراد أحد أن يرى تفصيلاته فليقرأ كتابي "تعليمات إسلام اور مسيحي اقوام" (أي التعليمات الإسلامية والأقوام المسيحية)، فإني وضحت فيه بالأدلة أن جميع إيجادات العلوم في الحقيقة هي الوجه المادي لمعنويات الإسلام، وقد جاءت الترقيات العلمية بإرادة الله التكوينية في هذا العصر لتفهيم الإسلام، ولجعلها أقرب إلى الفهم.

لذلك، فالإنسان الذي يستخدم العلوم وسيلةً للإسلام هو يُقَوِّي الإسلام، والذي يجعلها مقصودة بالذات هو يوهن نفسه ويضر بها، ولا يستطيع أن ينال من الإسلام شيئا.



موضع عبرة لطلبة الجامعات العصرية:

لما ثبت أن العلوم بلا واسطة الدين "كلمة خبيثة" التي لا أساس لها، والإسلام "كلمة طيبة" التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، فهذا مقام العبرة والموعظة لأبناء المسلمين الطيبين، فلا يصرفوا أوقاتهم الثمينة في معمولات العلوم بحيث تصبح مقصودةً بالذات، ولذَّاتُها الفانية والزائلة تصير أصليةً، التي هي سبب الندامة في الآخرة، ولات ساعة مندم، ولات حين مناص. ولا يأخذ بقلوب هؤلاء الطلبة، اللمعانُ الظاهري لأولئك الأقوام الذين زادوا في لهو ولعب أهل الدنيا بمصنوعاتهم المادية اللامعة من العناصر الأربعة النار والماء والهواء والتراب؛ لأن أعمار هذه المصنوعات قصيرة جدا، وستبقى لوقت قصير.

وهذا البريق الخادع للحضارات والمدنيات القائمة على العلوم متاع قليل، وحياة الأقوام المنهمكة فيه محدودة جدا ولأيام قلائل فقط، وستأتي تلك الساعة قريبا التي تتصادم فيها الحضارات البرَّاقة مع نفسها، وتقضي على محبيها بتلك المصادمات والمقارعات، قال تعالى: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ • مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران:196-197].

وهذه العناصر الأربعة أيضا آخذة بالأبصار، وساحرة لها، فالنار لامعة، صاحبة صولات وجولات، ومالكة لآثار الحرارة البعيدة. والماء فضِّيُّ المنظر صافٍ وشفَّاف، وحاملٌ لآثار التبليل المنتشرة. والهواء في الظاهر أرقُّ شيء جسما بلطافته، وموجودٌ وسارٍ في كل مكان. والكرة الأرضية من حيث المجموع تبدو أكثر عظمة ومكانة، وأوسع شيء وأكبر إلى حد النظر. ولكن هذه العناصر الأربعة بسبب أخلاقها الجبلِّية وآثارها الطبيعية محتاجةٌ وأذلُّ شيءٍ في العالَم، وما استطاع بريقُها الظاهريُّ هذا محوَ دناءَتِهَا وسِفْلِها الجوهري كما أثبتنا في السابق.

ومِثلُه بالضبط تمامًا حالُ الأقوام أو المجتمعات أو الأفراد التي غلبت عليها هذه الأخلاق المادية، بحيث أصبحت شغلَها الشاغلَ ليلَ نهارَ، هي ولو تبدو في الظاهر لامعةً مثل النار، وشفَّافةً مثل شفَّافية الماء، ومنتشرةً انتشارَ الهواء، وعظيمةً مثل عظمة الأرض، ولكنها بسبب أخلاقها المادية الراسخة فيها، لا تستطيع أن تُنقِذ نفسَها من الذلة والهوان اللذين سيأتيانها في الدنيا قبل الآخرة؛ لأن المادة التي لم يُكْتَب لها أيُّ عزٍّ، ولا أية كرامةٌ منذ خلق الفطرة، تنهدم العمارات المصنوعة منها بأسرع وقت، مهما كانت قوية شامخة ناطحة السماء.



خاتمة:

وفي ختام هذا البحث خرجنا بالنتائج التالية:

1- أن الحديث رتَّب العناصر الأربعة ترتيبا رائعا، فذكر أولا كل كثيف، ثم كل لطيف، ثم جعل كلَّ مذكورٍ مؤخرًا أشد وأقوى من المذكور مقدَّمًا.

2- وأشار الحديث إلى أن معيار الشدة والقوة هو اللطافة، وترتيبه الطبيعي أن الألطفَ من التراب الحديدُ، ومن الحديدِ النارُ، ومن النارِ الماءُ، ومن الماءِ الهواءُ، ومن الهواءِ الإنسانُ، ومن عامة الناسِ الإنسانُ تاركُ الدنيا، ومن عامة التاركين التاركُ المحضُ والزاهدُ غيرُ المرائي الذي قلبه أطهر من شواغل الدنيا، وأرفع من حب الماديات، وأنفر من الكثافات المادية

3- أن الإنسان هو محور اللطافات الروحانية، كأن لا يكون حامل اللطافة الكاملة إلا الإنسان الروحاني الرباني، الذي لا ينهمك في خدمة البدن، بل ينشغل بتكميل الروح، وتصبح الأعمال الروحانية شعارا له، بدلا من التصرفات المادية.

أما التوصيات فهي ما يأتي:

1- ضرورة الخوض في بحر السنة لاستخراج ما قعد في قاعه من دررٍ نستفيد بها في أعمالنا الدنيوية، ولألئ نثبت بها أن السنة وحي من الله خالق الكون.

2- ضرورة عدم التكرار بمسائل العقيدة، وأحكام الصلاة وغيرهما من المسائل العقيمة.



المصادر والمراجع:

1. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1419هـ).
2. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي الأموي القرشي، **الزهد**، (بيروت: دار ابن كثير).
3. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي الأموي القرشي، **ذم الدنيا**، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، (القاهرة: مكتبة القرآن).
4. ابن الأعرابي، أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري، **المعجم**، تحقيق: أحمد ميرين سياد البلوشي، (الرياض: مكتبة الكوثر، وبيروت: دار الكتب العلمية).
5. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي، **المنتظم في التاريخ**، (بيروت: دار صادر، ط1، 1358هـ).
6. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **الإصابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار الجيل، ط1، 1412هـ).
7. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، **تاريخ دمشق**، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1419هـ/1998م).
8. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: محمود حسن، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1414هـ/1994م).
9. ابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحي، **التوحيد**، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ط1، 1409هـ).
10. أبو الشيخ، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد، **العظمة**، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1408هـ).
11. أبو القاسم الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي، **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، (الرياض: دار الراية، ط1، 1419هـ/1999م).
12. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط4، 1405هـ).
13. أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، **المسند**، تحقيق: حسين سليم أسد، (دمشق: دار المأمون للتراث، ط1، 1404هـ/1984م).
14. أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، **المسند**، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، (القاهرة: مؤسسة قرطبة).



15. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، **الصحيح**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1407هـ/1987م).

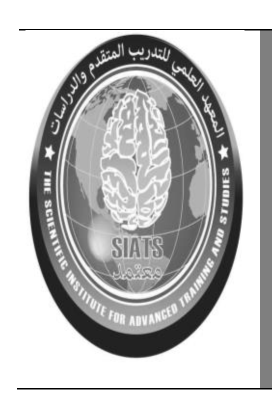
16. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ).

17. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، **السنن**، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

18. الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، ومعه تعليقات الذهبي في التلخيص، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ/1990م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، **المتفق والمفترق**، تحقيق: الدكتور محمد صادق الحامدي، (دمشق: دار القادري، ط1، 1988م).





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

العدد 2، المجلد 1، تموز، يوليو 2015م.

e-ISSN: 2289-9065

LEGAL PROVISIONS RELATING TO REFUGEES IN DAR AL-KUFR IN ISLAMIC LAW

أحكام شرعية تتعلق باللاجئين في دار الكفر في الشريعة الإسلامية

فارس علي مصطفى

أكاديمية الدراسات الإسلامية–جامعة ملايا

farsali79@yahoo.com

1436هـ – 2015م



ARTICLE INFO

Article history:
Received 15/4/2015
Received in revised form 20/6/2015
Accepted 4/7/2015
Available online 15/7/2015

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

This paper tries to study the law refugee in the country not Muslim in the hokum in Islam for the Muslim refugee some time he's going to the country not Muslim about his self and sometime his going about hisreligion and sometime about hislearning and sometime about hismoney so all these in Islamic law.



الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى بيان أحكام شرعية تتعلق باللاجئين في دار الكفر في الشريعة الإسلامية" منها حكم اللجوء لأجل الفرار بالنفس،وحكم لجوء المسلمين لأجل الهرب بدينه،وحكم اللجوء لأجل طلب العلم، وحكم اللجوء لأجل الفرار بالمال أو لأجل التجارة،وذلك في ظل أحكام الشريعة الإسلامية

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين وبعد:

عندما بدأت بالبحث كنت عزمت ألا أختار إلا موضوعا عصرياً له ارتباط بواقع المسلمين ومشكلاتهم تبادر إلى ذهني" أحكام شرعية تتعلق باللاجئين في دار الكفر في ضوء فقه الضرورةوالتيسير والتخفيف " وما يرتبط به من مسائل تتعلق بسلوك المسلم اللاجئ في دولة الكفر، وبعد بحثٍ في أمهات الكتب الفقهية ظهر لي أن فقهاء المسلمين بحثوا مسألة لجوء غير المسلم إلى دار الإسلام باستفاضة في حين لم يبحثوا لجوء المسلم إلى دار الكفر إلا بإشارات متناثرة هنا وهناك، ولعلهم لم يتصوروا أن تدور الدوائر على المسلمين ويأتي يوم يضطر فيه بعضهم لقرع الأبواب لاجئاً ومستجيرا. وهذا ما دفعني إلى أن أبحث موضوع أحكام شرعية تتعلق باللاجئين في دار الكفر، في الإسلام من خلال دراسة موقف الشريعة الإسلامية من أحكام شرعية تتعلق باللاجئين في دار الكفر، ونظرتها للجوء المسلم إلى دار الكفر، وما يرتبط بذلك من أحكام ومسائل.

وأعتقد أن جهات عدة بحاجة إلى مثل هذه البحوث، منها السلطات التشريعية ثم أن بعض الشباب المسلم الذي تراوده نفسه باللجوء إلى دول الكفر، بحاجة ليقوموا تصرفاتهم، ويجعلوها متوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية.

وسأقوم في هذا البحث بعرض وتحليل موقف الشريعة الإسلامية من أحكام شرعية تتعلق باللاجئين في دار الكفر في ضوء فقه الضرورة والتيسير والتخفيف؟



أهمية الدراسة

أفادت مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين في التقرير السنوي لها: (بأن عدداً كبيراً من اللاجئين في العديد من البلدان غير المشمولين باتفاقيات دولية، يواجهون مصائر مقلقة وسط تزايد الأخطار الأمنية وانخفاض المساعدة المقدمة للاجئين.[1]

وتكمن أهمية هذه الدراسة في بيان موقف الشريعة الإسلامية من أحكام شرعية تتعلق باللاجئين في دار الكفر، وتكمن أهمية الدراسة في تزايد أعداد اللاجئين في أجزاء كثيرة من العالم، مما يحتم علينا طرق هذا الموضوع وبيان الحل لهذه المشكلة الإنسانية في ضوء مقاصد الشريعة وأحكامها.

أيضاً من أسباب أهمية هذه الدراسة تطور مفهوم حقوق الإنسان في المجتمع الدولي والمبادئ التي ينادي بها البعض من أجل كرامة الإنسان وضمان حريته وسلامته، وغمز بعض الدول والجهات تارة، وبالتصريح تارة أخرى من كون الإسلام لا يحفظ كرامة الإنسان ولا ينادي بحريته، مما يحتم علينا كمسلمين إحقاق الحق والبحث في أسرار الشريعة كي نقدم للعالم أجمع الحقيقة الناصحة، في أن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان، والرد على ادعاءاتهم الزائفة والباطلة بأن حقوق الإنسان وليدة الفكر الحديث.

إشكالية الدراسة

وتكمن مشكلة الموضوع في أن المجتمع الكردي يعيش أوضاعاً مضطربة نتيجة الحروب التي تفرض عليها من دول الجوار وعمليات الإبادة والقتل الجماعي والتصفية المنتشرة في كثير من أصقاع المجتمع الكردي، مما أدى إلى لجوء أعداد هائلة من البشر أطفالاً ونساءً وشيوخاً، للبحث عن مكان وملاذ آمن من هذه المخاطر.

وبما أن مشكلة اللجوء أصبحت مشكلة دولية عامة، خاصة بعد ما تزايدت في السنوات الأخيرة أعداد اللاجئين تزايداً جعل هذه المشكلة أكثر تعقيداً وأبعد آثاراً مما يستلزم إلقاء المزيد من الضوء عليها بياناً للأسباب وتقديماً للمعالجات والحلول.

وهنا تكمن مشكلة البحث من خلال الأسئلة التالية:

1- ما الذي يتمتع به هؤلاء اللاجئين من الحقوق وفقا لما جاءت به الشريعة الإسلامية في دار الكفر.

---

[1] التقرير السنوي للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين التقرير السنوي بتاريخ 2007م.



2-ما هو موقف الشريعة الإسلامية من قضية حقوق اللاجئين، والأحكام والتعاليم التي جاءت بها وما هو الراجع من أقوالهم.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى

1- بيان الحقوق التي يتمتع بها اللاجئون في دار الكفر وفق الشريعة الإسلامية وآراء الفقهاء في ذلك.

2- معرفة أقوال العلماء من قضية حقوق اللاجئين في ضوء مقاصد الشريعة والواقع المعاصر وبيان الراجع من الأقوال.

الدراسات السابقة

لقد أطلعت على المصادر والمراجع التي لها صلة بموضوع هذا البحث وعلى كتابات خصصت له تتقصى آراء العلماء المتقدمين والمتأخرين مع مناقشة أقوالهم ومحاولة إيجاد تصور جديد لتقسيم إسلامي في ظل النظام الدولي الراهن لذا فقد وجد الباحث أن كثيراً من الفقهاء اعتنوا بموضوع اللجوء حيث يأتي في الفقه الإسلامي بمعنى المستأمن ويذكرون الأحكام

الواردة عليه في دخوله في دار الإسلام، ويذكرون أحكاماً في إقامة المسلم بدار الكفر، ويمكن تقسيم المراجع التي تناولت هذا الموضوع إلى قسمين:

أولاً: المصادر القديمة، وهي كتب الفقه القديمة التي عادةً ما تتناول موضوع دار الإسلام ودار الحرب، تحت باب الجهاد ويعد كتاب(السير الكبير) لمحمد بن الحسن لشيباني، أول الكتب في هذا الموضوع وأهمها على الإطلاق، بحيث استوعب أصول علم العلاقات الدولية واستقصى المسائل المتعلقة به فيه ولم يقتصر في ذلك على المذهب الحنفي وإنما ذكر مذاهب أخرى وناقش حجج أصحابها، وقد تكلم كلاماً مفصلاً عن دار الحرب ودار الإسلام، والعلاقات بينهما في أوجهها المختلفة والأحكام التي تختلف باختلافهما. [2]

[2] الشيباني، محمد بن الحسن،**السير الكبير شرح السرخسي**، تحقيق :صلاح الدين المنجّد (القاهرة: مطبعة مصر،1957م).



ويعد "كتاب الخراج لأبي يوسف " من المصادر المهمة المتعلقة بموضوع هذا البحث، فهو وإن كان كتاباً في الأموال، إلا أنه عند الكلام عن موارد بيت المال ذكر بعض الأحكام المتعلقة بدار الإسلام ودار الحرب وطبيعة العلاقات بينهما، وذكر بعض التفاصيل المهمة في ذلك[3].

وأيضاً كتاب ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، حيث تناول فيه دخول المستأمن إلى دار الإسلام بصورة مفصلة.[4]

ومن المصادر المهمة أيضاً كتاب " الرد على سير الأوزاعي " لأبي يوسف وهو من أهم الكتب التي عالجت بعض جوانب هذا الموضوع، حيث تناول دار الإسلام ودار الحرب بالإضافة إلى بعض الأحكام التي تختلف باختلاف الدارين وبسط الكلام في ذلك.[5]

كما يعد كتاب الإمام الماوردي " الأحكام السلطانية " من أوائل الكتب التي تناولت بعض جوانب هذه الدراسة بعد كتاب الشيباني، حيث قسم العالم إلى ثلاثة أقسام وتوسع في الكلام حول كل قسم منها والروابط التي تربط كلا منها بالآخر، وقد تضمن هذا الكتاب قضايا كثيرة تتعلق بالتشريعات العامة للدولة بما في ذلك منح اللجوء من قبل المرأة للكافر الذي يدخل دار الإسلام.[6]

ومن المصادر القيمة أيضاً كتاب ابن رشد " المقدمات " حيث تحدث فيه عن حكم دخول المسلم إلى دار الكفر، وذكر آراء العلماء في أحكام إقامة المسلم بدار الكفر.[7]

ومن هذه المصادر أيضاً كتاب الدسوقي " الحاشية على الشرح الكبير" حيث ذكر فيه أن الشريعة الإسلامية كفلت للفرد حق إعطاء الأمان لأي لائذ مستجير، سواء كان هذا الفرد رجلاً أو امرأة، حراً أو عبداً وجيهاً أو خسيساً.[8]

---

[3]أبو يوسف، يعقوب، **كتاب الخراج، (دط)**، بيروت: دار المعرفة، (ط3)، 1970م).

[4] الجوزية، ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**، (دط). بيروت: مؤسسة الرسالة.

[5]أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، **الرد على سير الأوزاعي**، تحقيق أبو الوفاء، (بيروت: دار الكتب العلمية، (ط1)، 1988م.

[6] الماوردي، علي بن محمد البصري، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**.(القاهرة: دار الفكر، (ط1)، 1406هـ).

[7] ابن رشد، أبو الوليد القرطبي، **المقدمات**،، ضبطه: أحمد عبد السلام، (ط1). (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.

[8] الدسوقي،**حاشية على الشرح الكبير للدردير**، وبهامشه: عليش، محمد، تقريرات عليه، (دط) بيروت: دار الفكر.



ومن المصادر أيضا كتاب " الفتاوى الهندية " حيث ذكر فيه آراء الفقهاء في المدة التي يسمح للاجئ بالبقاء خلالها في أقاليم الدولة الإسلامية، إلى أنه لا ينبغي السماح لمن دخل دار الإسلام بأمان أن يمكث فيها أكثر من سنة كاملة.فإن مكث سنة فقد ذهب الحنفية إلى وجوب الجزية عليه ومنعه من العودة إلى دار الحرب لأنه صار ذمياً.[9]

ثانياً: وهناك دراسات معاصرة تناولت هذا الموضوع، ومن بينها:

كتاب الدكتور إسماعيل لطفي فطاني" **اختلاف الدارين وأثره في المناكحات والمعاملات**"، وهو في طليعة الكتب المعاصرة التي تناولت هذا الموضوع، حيث ذكر بتوسع تعريفات العلماء لكل من الدارين وأقسام كل منهما مع ذكر أدلة فقهاء المذاهب ومناقشتها، كما يذكر كل من الهجرة والإقامة لمواطني كل من الدارين في الأخرى بالإضافة إلى الحديث المفصل عن الأحكام التي تختلف باختلاف الدارين خاصة منها ما يتعلق بالمستأمن.[10] والبحث الذي بين أيدينا يتعلق بأحكام اللاجئين في دار الكفر وحقوق اللاجئين في دارهم.

وممن تطرق إلى بعض مباحث هذا الموضوع أيضاً الدكتور وهبة الزحيلي في كتابه "آثار الحرب في الفقه الإسلامي ".حيث ناقش قضايا هامة لها تعلق وثيق بدار الحرب ودار الإسلام، وذكر أن الأصل أن الدنيا كلها دار واحدة وأن التقسيم إلى دار الإسلام ودار الحرب كان أمراً عارضاً ولا يكون تشريعاً.[11] أيضا هذا الكتاب مختلف عن بحثنا يتحدث عن حقوق اللاجئين في دار الكفر وآراء الفقهاء في ذلك.

أيضاً كتاب "حقوق الإنسان مجموعة صكوك دولية" الصادر عن الأمم المتحدة حيث ورد فيه حق اللاجئ وحريته، والتزاماته بالتفصيل.[12] وهذا البحث هو مهم وله علاقة بالبحث لكنه مختلف لأن بحثي يدرس حقوق اللاجئ وفقا للشريعة الإسلامية.

ومن المراجع المهمة أيضاً كتاب عبد الله محمد " اللجوء في الإسلام " حيث أوضح فيه أن القانون الدولي العام في الإسلام جزء من الفقه، وهو لا يستمد قوة الإلزام من أي مصدر أجنبي، بل من سيادة الدولة الإسلامية وإرادتها التي

---

[9] الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين،**الفتاوى الهندية** ، (ط 5)، (1985م) بيروت: لبنان مؤسسة الرسالة.

[10] فطاني، لطفي إسماعيل، **اختلاف الدارين وأثره في المناكحات والمعاملات**، (القاهرة : دار السلام.(دط)، 1995م.

[11] الزحيلي، وهبة، **آثار الحرب في الفقه الإسلامي**، دمشق: دار الفكر، (ط3)، 1989م.

[12]هذه الحقوق هي لجميع البشر من رجال و نساء و اطفال و هيصالحة لكل زمان و مكان. يستحق البشر هذه الحقوق منذ ولادتهم بحكم انسانيتهم المشتركة، فهي ليست منحة لهم من اشخاص اخرين او من أي حكومة. لكون كرامة الانسانهي قيمة اصيلة لكل كائن بشري، فلا يحق لأحد ان يتنازل عن هذا الحق كما و لا يجوز لأي احد أن يصادره منه. تفرض "حقوق الإنسان" على الحكومات و المؤسسات و الأفراد مسئولية احترام و حماية حقوق الآخرين مدخل لحقوق الإنسان.



تخضع بالطبع للقانون القرآني الإلهي.[13] أيضا هذه الدراسة مختلفة عن بحثنا من حيث بيان الحقوق وفقا للشريعة الإسلامية.

إضافة إلى ما سبق فهناك كتاب أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام للدكتور عبد الكريم زيدان فقد تناول فيه حقوق وواجبات المستأمن كما تحدث عن واجباته أمام الدولة الإسلامية في مسألة الجزية والخراج والعشور. وأيضاً ذكر أحكامه في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام.

ومن الرسائل العلمية أيضا رسالة الدكتوراه، لمحمد بن عبد، بعنوان: أحكام اللجوء في الفقه الإسلامي والقانون الدولي، دراسة مقارنة، حيث تحدث فيه عن الملجأ الديني، والملجأ الإقليمي، والدبلوماسي.[14]

منهج الدراسة

لقد نهج الباحث في دراسته منهجاً ثابتاً فاستهل باستعراض آراء المذاهب الفقهية المختلفة في المسألة، مع عرض أدلة كل فريق، ثم ناقش الدليل محاولاً التوفيق أو الترجيح بينها وصولاً لاستنباط الحكم المتوافق مع أصالة التشريع الإسلامي وروح العصر الذي نعيشه.

وقد حاول الباحث ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، أن تكون عباراته فقهية واعتمد الباحث المنهج الاستقرائي وقام بترجمة موجزة لغالبية الذين ذكروا في النص، كما قام بتخريج الأحاديث والآثار التي وردت، وحرص في كل ذلك أن يوثق من المصادر الأصلية المعتبرة، وأيضاً يلجأ إلى الاستئناس بالمراجع الحديثة بما يحقق أكبر فائدة ممكنة. والمنهج الوصفي حيث يعتمد الباحث على ظاهرة ما فأن أول خطوة يقوم بها هي وصف هذه الظاهرة، وصفاً دقيقاً ويعبّر عنها كيفياً بوصفها وتوضيح خصائصها، فالباحث يصف الظاهرة التي يريد دراستها ويجمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها حتى يتمكن من الإلمام بكل ما يدور وما يؤثر بالظاهرة المدروسة من جميع الجوانب فالأسلوب الوصفي أنما يعتمد على دراسة الواقع ووصفه، والتعبير الكمي والكيفي للظاهرة الموصوفة.

والمنهج التحليلي: وذلك بدراسة النصوص الواردة في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي إضافة إلى نصوص الاتفاقيات الدولية حول الموضوع دراسة تحليلية وبيان معانيها وأبعادها، ومدى موافقة العلماء ومخالفتهم لها،

---

[13] محمد، عبد الله. **اللجوء في الإسلام**، بحث مقدم إلى جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،الرياض. (2006 م).

[14] عبد، محمد، **أحكام اللجوء في الفقه الإسلامي والقانون الدولي**، المعهد العالمي للقضاء، منتدى البحوث والرسائل العلمية. رسالة ماجستير 1419.



بهدف الوقوف على عناصرها ودواخلها بغية إعادتها إلى مرتكزها، والحصول على الحل الأمثل من الشريعة الإسلامية للقضايا المعاصرة.

وإني أعترف بقلة بضاعتي في العلم، وأن ما قمت به ما هو إلا خطوة على طريق تحصيل العلم الشرعي، وحسبي أن يكون عملي خالصاً لله وأن يتقبله مني قبولاً حسناً، إنه أكرم مسؤول وأرجى مأمول والله ولي التوفيق.

ولقد نهج الباحث في دراسته المنهج الإستقرائي في رصد المعلومات ذات الصلة بالموضوع، ثم حللها تحليلاً دقيقاً وفق المنهج المقارن وذلك حسب المعلومات الواردة في المصادر الأولية والثانوية.

المبحث الأول

التمهيدي

محتويات البحث



المبحث الثاني

أحكام شرعية تتعلق باللاجئين في دار الكفر في الشريعة الإسلامية

المبحث الثاني

أحكام شرعية تتعلق باللاجئين في دار الكفر

في الشريعة الإسلامية

ويتضمن هذا المبحث أربعة مطالب

الكلمات الدلالية للبحث

الأحكام : جمع حكم. قال الجوهري : الحكم مصدر قولك: حكم بينهم يحكم حكما، إذا قضى الحكم مصدر قولك حَكَمَ بينهم يَحْكُمُ، أي: قضى حكمًا له، وحكم عليه. [15]

واللجوء في اللغة: مشتق من لجأ، يقال: لجأ إلى الشيء أو المكان، ويقال: لجأت إلى فلان أي استندت إليه واعتضدت به، ولجأت من فلان، إذا عدلت عنه إلى غيره، وكأن اللجوء بهذا المعنى إشارة إلى الخروج والانفراد، يقال: لجأ من القوم: أي: انفرد عنهم وخرج عن زمرتهم إلى غيرهم، فكأنه تحصن منهم، وألجأه إلى الشيء: أي: اضطره إليه.[16]

[15] ابن منظور، **لسان العرب**، ابن منظور،جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن احمد.(1900م).**لسان العرب** (دط). بيروت: دار صادر للطباعة والنشر. ج3، ص270.

[16] ابن منظور، **لسان العرب**، ابن منظور،**لسان العرب**.ص1152.



ومصطلح اللجوء لم يرد صراحة في القرآن الكريم، ولكن يوجد له ما يماثله: كالاستجارة، والمستأمن، والهجرة، وابن السبيل، لذلك فقد رأيت أن أتعرض لتعريف هذه المصطلحات

ـ **الاستجارة:** وهي من استجار: أي: طلب الأمن، قال تعالى: {وإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ..}.[17]

والجار والمجير: هو الذي يمنعك ويجيرك، يقال: استجاره من فلان أي: أجاره منه، ويقال أيضاً: أجاره الله من العذاب: أي: أنقذه.[18]

ـ **المستأمن:** هو طالب الأمن، وهو من دخل البيت الحرام محتمياً به، وقد عرفت الشريعة الإسلامية هذه الحصانة، ودلّ على ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، قال الله تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ }.[19]

وجه الدلالة: أن من دخل البيت الحرام لاجئاً إليه فهو آمن، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: من دخل المسجد الحرام؛ فهو آمن، ومن دخل بيت أبي سفيان؛ فهو آمن، ومن ألقى سلاحه؛ فهو آمن، ومن أغلق بابه؛ فهو آمن ".[20]

ـ **الهجرة:** أصل الهجرة عند العرب، خروج أهل البادية إلى المدينة، أو الخروج من أرض إلى أرض أخرى.[21]

وقد تعرض المسلمون الأوائل من الصحابة الكرام رضي الله عنهم إلى العداوة والاضطهاد في بداية ظهور هذا الدين، الأمر الذي دعاهم للهجرة إلى الحبشة، كما هاجر صلى الله عليه وسلم فيما بعد إلى المدينة المنورة قال تعالى حكاية عن ذلك: { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }.[22]

ـ **ابن السبيل:** هو المسافر الذي انقطع به الطريق، فأراد الرجوع إلى بلده، فلم يجد ما يتبلغ به، فله من الصدقات نصيب، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه الذي جاوز بلداً إلى آخر.[23]

---

[17] سورةالتوبة، الآية، رقم:6.

[18] ابن منظور، **لسان العرب**، ج723/1.

[19] سورةالبقرة، الآية،رقم: 125.

[20] أخرجه مسلم، أبو الحسن، ابن الحجاج، **الجامع الصحيح**، حققه: محمدفؤادعبدالباقي،(ط1)، عيسى البابي الحلبي،)ج498/1، رقم:1780.

[21] ابن منظور، **لسان العرب**، ج4616/6.

[22] سورةالحشر، الآية، رقم:8.

[23] القرضاوي، يوسف، **فقه الزكاة**،(بيروت: مؤسسةا لرسالة، (ط5)، 1981م)، ج96/1.



معنى الدار في اللغة: ورد لفظ الدار في اللغة لمعان متعددة منها.

أ- المحل: أي ما يجمع البناء والساحة والمنزل المسكون. [24]

ب- الموضع الذي يحل فيه القوم، والمحلة تسكنها القبيلة.

ج- الدارة: أرض سهلة تحيط بها الجبال، وهي أخص من الدار.

د- البلد: قطعة من الأرض مستحيزة عامرة أو غامرة.

هـ- القبيلة،كقولهم: مرت بنا دار فلان، وبهذا المعنى فسر الحديث (ما بقيت دار إلا بني فيها مسجد). [25]وأطلق على المدينة المنورة كلمة (الدار)في قوله تعالى

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَان }.[26]

معنى الدار في الاصطلاح:

ينبني تعريف الدار في اصطلاح الفقهاء على التعريفات اللغوية السابقة الذكر، فالدار عندهم هي: المكان الذي تقيم فيه مجموعة من الناس، ودار الإسلام: بلاد المسلمين ودار الحرب: بلاد العدو.[27]

قال ابن عابدين: "المراد بالدار الإقليم المختص بقهر ملك إسلام أو كفر ".[28]

---

[24]ابن منظور، محمد، **لسان العرب**، (بيروت: (دط)، 1955م،) م4، ص298، الشيخ أحمد رضا، **معجم فقه اللغة** (بيروت: (دط)، 1959-1960) م2،ص470.

[25] الزبيدي، محمد بن محمد، **تاج العروس**، (القاهرة: (دط)، 1900م) ج3 ص212.

[26] سورة الحشر، الآية، رقم: 9.

[27] محمد، معروف محمد، **المعجم الوسيط**، (بيروت: دار النفائس، (دط)، 1988م)، ص303.

[28]ابن عابدين، محمد الأمين، **حاشية رد المحتار على الدر المختار**، تحقيق: عادل عبد الموجود، (النجف: المطبعة النعمانية (ط2)، 1415هـ)، ج4 ص166



المطلب الأول

حكم اللجوء لأجل الفرار بالنفس

في الشريعة الإسلامية

من خاف على نفسه من الهلاك أو على بدنه من الأذى، وجب عليه اللجوء إلى مكان أو بلد يؤمن فيه على نفسه [29]، وذلك للأدلة الآتية:

_قوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيما}.[30]

فقد نهى الله تعالى نهي تحريم أن يقتل الإنسان نفسه، وذلك بأن يعرضها للأذى الذي يؤدي إلى هلاكه، أو أن يحمل نفسه على الغرر المؤدي إلى التلف، أو أن يقوم بقتل نفسه انتحاراً في حالة ضجر أو غضب.[31]

وغيرها من الحالات المشابهة، ومنها اليأس بالنفس حتى الهلاك.

وعلى هذا الدليل يكون اللجوء لأجل الفرار بالنفس واجباً لأن التعرض للهلاك غي غير الجهاد في سبيل الله حرام، لهذا قال الله تعالى في الآية التي بعدها:

{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}.[32]

واستشهد عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه بهذه الآية حين كان جنباً فخاف من استعمال الماء البارد فتيمم وصلى بالناس، فلما سأله النبي صلى الله عليه وسلم قال تذكرت قول الله تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ }.[33]

فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم فكان تقريراً.

-إن موسى عليه السلام حين علم أن جماعة يبحثون عنه ليقتلوه هرب من مصر كما جاء في قوله تعالى:

{ وجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ

---

[29] الماوردي، **الحاوي الكبير**، ج103/14؛ القرطبي، **الجامع**، ج350/3.

[30] سورة النساء،الآية، رقم:29.

[31] القرطبي، **الجامع**، ج157/5.

[32] سورة النساء، الآية، رقم:30.

[33] سورة النساء، الآية، رقم: 29



السَّبِيلِ }.[34] فلجأ إلى مدْيَنَ حيث نبي الله شعيب عليه السلام، فمكث عنده وتزوج بنته كما أخبرت به الآيات التي بعدها، إلى أن رجع نبياً إلى مصر ورسولاً إلى بني إسرائيل وفرعون وملئه.

المطلب الثاني

حكم لجوء المسلمين لأجل الهرب بدينه

في الشريعة الإسلامية

من كان في أرض أو بلد لا يؤمن فيه على دينه ويخاف أن يفتتن فيه وجب عليه الهروب واللجوء إلى بلد آخر يؤمن فيه على دينه ولا يفتتن فيه، إلا إذا كان معذوراً بعذر يمنعه من ذلك[35]، لقوله تعالى:

-{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا }.[36]

وجه الدلالة: أن الله تعالى يوبخ يوم القيامة الذين افتتنوا في دينهم فلم يهاجروا ولم يهربوا بدينهم حتى ماتوا، وحين اعتذروا بأنهم كانوا مستضعفين لم تكن لهم حيلة للتخلص من الافتتان، احتج عليهم بأنه كانت أرض الله واسعة فكان بإمكانهم الهجرة فيها من أرضهم إلى أرض آخر أمينة، وذلك باستثناء المعذورين لصغر أو مرض أو غير ذلك مما يجعله لا يستطيع الهجرة.[37]

-وقوله تعالى: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }.[38]

---

[34] سورة القصص، الآية، رقم:20-22.

[35] الماوردي، **الحاوي الكبير**، ج103/14؛ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن** (ط2)، القاهرة: دار الحديث، (1416هـ، 1996م)،ج344/5. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله المتوفى (538هـ) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط3، دار الكتب العربي بيروت 1407هـ، ج426/1.

[36] سورة النساء، الآية، رقم: 99.

[37] الماوردي، **الحاوي الكبير**، ج103/14؛ القرطبي، **الجامع**، ج344/5.

[38] سورة النساء، الآية، رقم:100.



فقد بينت هذه الآية أن من يهاجر فاراً بدينه في سبيل الله تعالى باللجوء إلى أرض أخرى، يجد فيما هاجر إليه المتحوّل والمذهب[39]، أي المكان الذي يتحول فيه ويذهب إليه، ويفارق الذين عادوا دينه رغم أنفسهم.[40]

كما أنه يجد سعة في الرزق إذ يفتح الله تعالى عليه في الأمان والرزق، بدليل قوله تعالى: {واسِعَةٌ}أي يجد سعة في الرزق والبلاد، وسعة من الضلالة إلى الهدى، واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرج.[41]

فهو دليل على وجوب لجوء المسلم الذي يفتتن في دينه إلى بلد أو مكان يكون فيه حراً في ممارسة دينه وعبادة ربه.[42]

وقوله تعالى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ }.[43]

معناه أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في البلد الذي هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يجب، فليهاجر إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلباً وأصح ديناً وأكثر عبادة وأحسن خشوعاً.[44]

المطلب الثالث

حكم اللجوء لأجل طلب العلم

في الشريعة الإسلامية

اللجوء إلى بلد أو قوم لأجل طلب العلم فرض كفاية في الإسلام، في كل علم نافع، وذلك إذا لم يتوفر ذلك العلم في بلده وذلك للأدلة الآتية:

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من سلك طريقًا يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنّة". [45] وسلوك الطريق يشمل السفر لأجل الحصول على العلم في بلد آخر غير بلده.

---

[39] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري.**الجامع لأحكام القرآن** (ط2)، ج348/5.

[40] الزمخشري، **الكشاف**، ج426/1.

[41] القرطبي، ج348/5.

[42] الباليساني، أحمد محمد، **اللجوء السياسي والإنساني في الفقه الإسلامي**،بلاط، ص8.

[43] سورة العنكبوت، الآية، رقم:56.

[44] الزمخشري، **الكشاف**،ج347/3.

[45] الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى.**السنن**، تحقيق: شاكر، وعبد الباقي، وعوض، (دط)، القاهرة: دار الحديث، باب العلم، 137/14، وقال حديث حسن.



ـــ وعن أنس ابن مالك مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ".[46]

وجه الدلالة: أن معنى في ((سبيل الله)) الجهاد وهو واجب بالاتفاق وتشبيه طلب العلم بالجهاد يكون تشبيهاً له في الحكم أيضاً.

ـــ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الناس لكم تبع وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً ".[47]وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يأتيكم رجال من قبل المشرق يتعلمون، فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيراً ".[48]

فهذا يدل على مشروعية قبول اللاجئين في بلاد الإسلام لطلب العلم ووجوب حسن التعامل معهم. وبناء على ما سبق أرى أنه من الأسلم أن لا يسافر المسلم إلى دور الكفر ويقيم بها إلا لضرورة تتمثل في إحدى الحالات التالية:

1-العلاج الطبي، إذا تعذر في بلاد المسلمين.

2-التخصص العلمي في مجال يحتاجه المسلمون.

3-التجارة بما يحقق مصالح المسلمين.

4-العمل في سفارة إسلامية أو بعثة قنصلية، أو أي وظيفة تستوجب فرداً مسلماً.[49]

5-المشاركة في مؤتمر أو حلقة علمية أو معرض دولي فيه تحصيل منفعة للمسلمين.

6-الرحلة السياحية بنية التعرف على المعالم الجغرافية والحضارية، ضمن مجموعة إسلامية يأمن فيها المرء على نفسه.

7-نشر الدعوة الإسلامية وتبليغ الرسالة المحمدية. على أن تكون هناك ضمانات كافية يؤمن المسلم من خلالها على دينه ونفسه وماله وأهله وعرضه وأن يعزم أن يعود إلى دار الإسلام فور انتهائه من تحقيق ما هاجر لأجله.[50] واللجوء السياسي: هو مفهوم قضائي قديم يقضي بإعطاء الشخص الذي يتعرّض للاضطهاد بسبب آرائه السياسية أو المعتقدات

---

[46] مرجع سابق، وقال حديث حسن غريب.

[47] العسقلاني، ابن حجر، العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن حجر. (1900م)، **فتح الباري**، بيروت: لبنان دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ج1/175.

[48] الماوردي، **الحاوي الكبير**، ج14/103 فما بعدها؛ القرطبي، الجامع، ج3/350،

[49] سباط، سعد، حسام محمد. (1997م)، **اللجوء السياسي في الإسلام لحسام محمد** ، ص30، (ط1)، دار البيارق. ص162.

[50] السعوي، عبد العزيز بن محمد عبدالله. (1428هـ)، **حقوق اللاجئين بين الشريعة والقانون**. (ط1)، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.ص148.



الدينية في بلده والتي قد تكون محمية من قبل سلطة أخرى ذات سيادة،أو بلد أجنبي الفرصة له للتعبير عن آراءه.

وينبغي عدم الخلط بين اللجوء السياسي وقانون اللاجئين الحديث، والذي يتعامل مع التدفق الهائل من السكان إلى البلدان الأخرى،

فحق اللجوء هو حق يختص باهتمامات الأفراد، ويقدّم في كل حالة على حدة.

يكفل لكل شخص ينتابه خوفاً أكيداً بتعرضه للاضطهاد حق اللجوء السياسي إلى بلد يستشعر فيه الأمان. وفقاً لآليات حقوق الإنسان الدولية، قد يتم انتهاك هذا الحق بطرق متعددة، منها ما يلي:

عدم توفير التسهيلات اللازمة التي تمكن الأشخاص من طلب اللجوء السياسي (بما فيها المترجمين وفيق عمل مدرب بشكل صحيح، يختص بشؤون الهجرة)؛

عدم إعطاء الاهتمام المناسب لطلبات اللجوء السياسي؛

نفي الأشخاص إلى بلدان قد يواجهون فيها خطر التعرض للتعذيب أو للمعاملة غير الإنسانية أو العقاب المهين.[51]

المطلب الرابع

حكم اللجوء لأجل الفرار بالمال أو لأجل التجارة

في الشريعة الإسلامية

إن حرمة مال المسلم كحرمة دمه لما رواه عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من قتل دون ماله فهو شهيد"[52] وقد يتعذر المعاش أو المحافظة على المال في بلد مع الإقامة فيه فيخرج في طلبه إلى بلد آخر، وقد لا يستطيع التجارة في بلده فيلجأ إلى بلد آخر لأجله....وحكم ذلك أنه إن لم يستطع المحافظة على معاشه في بلده أو تعذر معاشه فيها وجب عليه اللجوء إلى بلد يحفظ فيه ماله أو يحصل فيه على معيشته، وفيما عدا ذلك فهو مباح. وذلك للأدلة الآتية:

---

[51] **حق_اللجوء**2 تشرين الثاني (نوفمبر) ar.wikipedia.org.2006

[52] متفق عليه، البخاري، **صحيح الجامع**، ج877/2، الحديث رقم:2348؛ مسلم، **صحيح الجامع**، 124/1،الحديث رقم:141.



1-قوله تعالى: { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ....}.[53]

والفضل هنا التجارة وكسب المعاش.[54]

2-قوله تعالى: { وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...}.[55]

أي يسافرون لأجل التجارة وكسب المعاش.[56]

3-وقوله تعالى: { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }.[57]

وجه الدلالة أن الانتشار في الأرض يشمل السفر له واللجوء إلى مكان يجد فيه معاشه.[58]

---

[53] سورة البقرة، الآية،رقم:198.

[54] الشنقيطي،محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القران بالقران**، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم،)، ج98/1.

[55] سورة المزمل،الآية، رقم:20.

[56] ابن كثير، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،**تفسير القران العظيم**، دار طيبة 1422هـ/ 2002م، ابن كثير، الحافظ بن كثير. (1425هـ)، تحقيق: كل من مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب.و (ط1). الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع. ج172/14.

[57] سورة الجمعة، الآية، رقم:10.

[58] القرطبي، **الجامع**، ج350/15.



الخاتمة

قمت في هذا البحث بعرض وتحليل موقف الشريعة الإسلامية أحكام شرعية تتعلق باللاجئين في دار الكفر في ضوء فقه الضرورة والتيسير والتخفيف" منها حكم لجوء المسلمين لأجل الهرب بدينه، وحكم اللجوء لأجل الفرار بالنفس، وحكم اللجوء لأجل الفرار بالمال أو لأجل التجارة، وحكم اللجوء لأجل طلب العلم، فأستهل باستعراض آراء الفقهية في المسألة، مع عرض أدلة كل فريق، ثم ناقش الدليل محاولاً التوفيق والترجيح بينهما ووصولاً لاستنباط الحكم المتوافق مع إصالة التشريع الإسلامي وروح العصر الذي نعيشه، وقد حاول الباحث أن يكون عباراته فقهية، وقام بترجمة موجزة لغالبية الذين ذكروا في النص، وحرث في ذلك أن يوثق من المصادر الأصلية المعتبرة، واستعمال المصادر الحديثة بما يحقق أكبر فائدة ممكنة.

توصل الباحث خلال الدراسة إلى نتائج من أهمها أن فقهاء الشريعة الأسلامية ذهبوا إلى وجوب لجوء المسلم الذي يفتتن في دينه إلى بلد أو مكان يكون فيه حراً في ممارسة دينه وعبادة ربه، وأن اللجوء إلى بلد أو قوم لأجل طلب العلم فرض كفاية في الإسلام.



المصادر والمراجع

أولاً: من القرآن الكريم.

1_ الباليساني، أحمد محمد. **اللجوء السياسي والإنساني في الفقه الإسلامي**، غير مطبوع.

2_ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. (1994م)، **صحيح البخاري** (دط)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

3_ البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين. (1356هـ)، **السنن الكبرى**، وفي ذيله: إبن التركماني، علي بن عثمان المارديني، الجوهر النقي، حيدر أباد الدكن-(ط1)، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

4_ الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى.**السنن**، تحقيق: شاكر، وعبد الباقي، وعوض، (دط)، القاهرة: دار الحديث، باب العلم، 137/14، وقال حديث حسن.

5_ التقرير السنوي للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين التقرير السنوي بتاريخ 2007م.

6_ الجوزية، ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**، (دط). بيروت: مؤسسة الرسالة.

7_ الدسوقي، **حاشية على الشرح الكبير للدردير**، وبهامشه: عليش، محمد، تقريرات عليه، (دط) بيروت: دار الفكر.

8_ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف**، الناشر: دار الكتب العربي بيروت، ط3، 1407هـ.

9_ السعوي، عبد العزيز بن محمد عبد الله. (1428هـ)، **حقوق اللاجئين بين الشريعة والقانون**. (ط1)، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

10_ الشنقيطي،محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القران بالقران**، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم).



11_ الشيباني، محمد بن الحسن،**السير الكبير شرح السرخسي**، تحقيق :صلاح الدين المنجّد (القاهرة: مطبعة مصر،1957م).

12_ العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن حجر. (1900م)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، بيروت: لبنان دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.

13_ القرضاوي، يوسف، **فقه الزكاة**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، (ط5)، 1981م).

14_ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. (1416هـ، 1996م)، **الجامع لأحكام القرآن** (ط2)، القاهرة: دار الحديث.

15_ الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، **الفتاوى الهندية** ، (ط 5)، (1985م) بيروت: لبنان مؤسسة الرسالة.

16_ الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد. (1414هـ)، **الحاوي الكبير**، وهو شرح مختصر المزني، تحقيق: عليمعوض، عادل عبد الموجود، (ط1)، بيروت: دار الكتب العلمية.

17_ **حق_اللجوء**2 تشرين الثاني (نوفمبر) ar.wikipedia.org.2006 .

18_ ابن رشد، أبو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد القرطبي الأندلسي، (2002 م). (**بداية المجتهد ونهاية المقتصد**)، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.

19_ سباط، سعد، حسام محمد. (1997م)، **اللجوء السياسي في الإسلام لحسام محمد،** (ط1)، الناشر: دار البيارق.

20_ عبد، محمد، **أحكام اللجوء في الفقه الإسلامي والقانون الدولي**، المعهد العالمي للقضاء، منتدى البحوث والرسائل العلمية. رسالة ماجستير 1419.

21_ فطاني، لطفي إسماعيل، **اختلاف الدارين وأثره في المناكحات والمعاملات**، (القاهرة : دار السلام.(دط)، 1995م.



22_ ابن كثير، الحافظ بن كثير. (1425هـ)، **تفسير القران العظيم**، تحقيق: كل من مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب. (ط1). الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

23_ محمد، عبد الله. **اللجوء في الإسلام**، بحث مقدم إلى جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،الرياض. (2006 م).

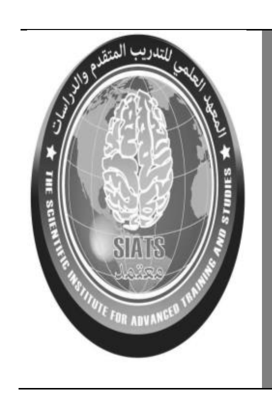
24_ مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري. (1994م)، **صحيح مسلم** (دط)، بيروت: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.25_

26_ ابن منظور، **لسان العرب**، ابن منظور،جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن احمد.(1900م). **لسان العرب** (دط). بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.

27_ أبو يوسف، يعقوب، **كتاب الخراج**، **(دط)**، بيروت: دار المعرفة، (ط3)، 1970م).

28_ أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، **الرد على سير الأوزاعي**، تحقيق أبو الوفاء، (بيروت: دار الكتب العلمية، (ط1)، 1988م.





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

العدد 2، المجلد 1، تموز، يوليو 2015م.

e-ISSN: 2289-9065

THE WISDOM OF THE DIVERSITY OF THE METHODS OF THE KORAN IN THE SPEECH OF NON-MUSLIM

الحكمة من تنوع أساليب القرآن في خطاب غير المسلمين

زوراب إبراهيم مولود

جامعة كويه/ العراق

zorablak@hotmail.com

1436هـ – 2015م

ARTICLE INFO

Article history:
Received 18/4/2015
Received in revised form 20/5/2015
Accepted 1/7/2015
Available online 15/7/2015

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

This research aims statement at the wisdom of the types of Qur'anic styles of discourse with non-Muslims. The research tried to answer the question about the types of Quranic styles by which Allah, The Almighty, The Almighty addresses non-Muslims, and what is the wisdom behind the diversity of Qur'anic styles in addressing non-Muslims. Therefore, the researcher studied, induced and analysed the styles by which Allah, The Almighty addresses non-Muslims in the holy Quran, and extrapolated meanings from their diversity. The researcher reached a number of valuable findings; one of the most important is the wisdom behind the diversity of Quranic styles in addressing non-Muslims, to enter the largest number of people to this religion values.



الملخص

يتطرق هذا البحث إلى بيان الحكمة من تنوع الأساليب القرآنية التي خاطب الله تعالى بها غير المسلمين، وقد حاول البحث الإجابة على استفسار ما أنواع الأساليب القرآنية التي خاطب الله تعالى بها غير المسلمين؟ وما الحكمة من تنوع الأساليب القرآنية في خاطب غير المسلمين؟ لذلك قام الباحث بيان تلك الأساليب التي خاطب الله تعالى بها غير المسلمين في القرآن، واستقرائها وتحليلها، واستنباط المعاني في تنوعها، فتوصل البحث إلى جملة من النتائج القيمة، والتي كان من أهمها الحكمة من تنوع أساليب القرآن في خطاب غير المسلمين. حيث كان الحكمة من تنوعها أن الله سبحانه وتعالى راعى طبائع كل صنف من الناس من أجل دخول أكبر عدد من الناس إلى هذا الدين القيم.



المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وجعله ناطقاً، وخاطب عقله بما يفهم ليكون مكلفاً, والصلاة والسلام على خير خلقه محمد الذي أرسل للناس كلّهم, وعلى آله وصحبه والمسلمين أجمعين إلى يوم حسابهم.

أمّا بعد!

فإنّ القرآن الكريم هو منهج ودستور لحياة الإنسان دون تمييز بين شعوبه وقبائله، لذلك توجه خطابه بأرقى الأساليب وأنفع المضامين إلى أرقى مخلوق وهو الإنسان، وخطاب الله سبحانه وتعالى يتنوع بتنوع المخاطبين؛ لأن الناس مختلفون في العقائد والأديان، فهناك المسلمين وأهل الكتاب والمشركين، فراعى العليم الخبير ذلك الاختلاف، وخاطبهم بأنواع مختلفة من الأساليب وفق ما تقتضيه حكمته وإرادته، قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤].

والذي يتناوله هذا البحث هو الحكمة من تنوع تلك الأساليب التي خاطب بها الله تعالى غير المسلمين أي المشركين وأهل الكتاب وما يتفرع منهما، لأن قصد الخالق من إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية وبالأخص القرآن الكريم إنما لهداية الناس إلى طريق الحق والرشاد، لذلك فإن الله سبحانه وتعالى خاطب الناس بكل أصنافه وأطيافه، علهم يرجعوا إلى الصواب، ويخرجوا من الظلمات إلى النور، ولهذا نجد إن الخطاب القرآني تنوعت أساليبه، فهولم يخاطب المشركين وأهل الكتاب بأسلوب واحد، كأن يخاطبهم فقط بأسلوب الترهيب، أو الترغيب مثلاً؛ بل تنوعت تلك أساليب حسب ما تقتضتي إرادة الله وحِكْمَته، فتارة يخاطبهم بأسلوب بلاغي، وتارة بأسلوب الحوار والجدال والفكر، أو يخاطبهم بأسلوب التحدي والتعجيز، أو يخاطبهم بأسلوب القصصي لأخذ العبرة. وأحياناً آخرى يخاطبهم بأسلوب التوبيخ، ولذلك نرى أن الخطاب القرآني متنوع في أساليبه، وهذا التنوع بحسب طبيعة المخاطبين وعللهم.

لذلك فإن أساليب القرآن الكريم متنوعة شاملةٌ، تحيطُ بجميع جوانب الدين والدنيا، من عقيدة، وشريعة، وأخلاق، ومعاملات، وتستوعب النفس البشرية بكل كيانها وسائر مداركها ومراكز التأثير فيها، فهو يخاطب العقل والقلب معا ويجمع الحق والجمال معاً، ويوجه العقول والعواطف جنباً إلى جنب الدعوة لهداية الإنسان.



والذي يميز هذا البحث عن غيره؛ أن الباحث سيتطرق إلى الحكمة من تنوع الأساليب التي خاطب بها الله تعالى في القرآن غير المسلمين والذي يقصد به المشركين وأهل الكتاب وما يتفرع منهما، وهذه الأساليب تفيدنا كثيراً في كيفية التعامل مع غير المسلمين، وطريقة الحوار والدعوة إلى الله سبحانه.

مشكلة البحث

يقوم هذا البحث بعرض تلك الأساليب القرآنية التي خاطب بها الله تعالى غير المسلمين من الكفار وأهل الكتاب مع الأمثلة، ليستخدم منها الفرد المسلم ما يناسب حال ومقام المخاطَب خصوصاً مع غير المسلمين، ومن ثم الحكمة من تنوع تلك الأساليب التي خاطب الله تعالى بها غير المسلمين.

أسئلة البحث

يحاول هذا البحث الإجابة عن جملة من الأسئلة التي تتعلق بالأساليب القرآنية التي خاطب بها الله سبحانه وتعالى غير المسلمين وهي كالآتي:

1. ما المقصود بالخطاب القرآني ومصطلح غير المسلمين في القرآن؟
2. ما المقصود بالأسلوب وما أنواعه في الخطاب القرآني؟
3. ما الحكمة من تنوع تلك الأساليب على ضوء أنواع المخاطبين؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

1. بيان المقصود بالخطاب القرآني ومصطلح غير المسلمين في القرآن.
2. دراسة الأسلوب وبيان أنواع الأساليب القرآنية التي خاطب بها الله غير المسلمين.
3. بيان الحِكَمة في اختلاف تلك الأساليب القرآنية.

أهمية البحث وسبب اختياره

تكمن أهمية هذا البحث في أن القرآن الكريم هو المصدر الأساس في خطاب المكلفين حيث ننطلق منه في مخاطبة الناس، وبالخصوص الخطاب الموّجه لغير المسلمين، وأساليب هذا الخطاب يساعدنا على فهم بعضنا البعض على أحسن وجه وتمكننا من التعايش والتحاور في ظل المجتمع المسلم الذي يسع المسلمين وغيرهم في إطار المواطنة والرابطة



الإنسانية، وفي حدود احترام شريعة الله. ولنا في سيرة رسول الله ﷺ أمثلة تطبيقة في ذلك بل على مدار التاريخ الإسلامي.

وسبب اختيار هذا الموضوع هو الكشف عن الحكمة من تنوع أساليب خطاب غير المسلمين في القرآن الكريم، الذي هو كلام الله المعجز الذي أنزله منهجاً للحياة.

حدود البحث

يتناول هذا البحث بيان أنواع الأساليب القرآنية في خطاب غير المسلمين، والحكمة من تنوعه، وسيركز على صنفي الكفار وأهل الكتاب وما يندرج تحتها، مع إيراد نماذج لهذه الأساليب.

منهج البحث

1. **المنهج الإستقرائي**: يتبعه الباحث لاستقراء الأساليب المتنوعة في آيات القرآن الكريم، وكتب التفاسير والبلاغة.
2. **المنهج التحليلي**: يتبعه الباحث لتحليل تلك الأساليب المتنوعة ودراستها.
3. **المنهج الإستنباطي**: يتبعه الباحث لاستنباط المعاني في تنوع أساليب الخطاب لغير المسلمين على ضوء القرآن الكريم وكتب التفاسير والبلاغة.

المبحث الأول

التعريف بالمصطلحات

يتناول هذا المبحث التعريف بأهم المصطلحات في هذا البحث:

المطلب الأول

الأسلوب لغة واصطلاحاً

الأسلوب لغة: تحمل هذه الكلمة الكثير من المعاني، لذلك فهو متنوع الاستعمال، فالأسلوب: يقال للسَّطْر مِنَ النَّخِيلِ، والأسلوب الطّريق الممتدّ، وتاتي أيضاً بمعنى: الطّريق، والوجهُ، والمذهب، فيقال أنتم في أسلوب سوءٍ، أي: في طريقٍ سُوءٍ، والأسلوب الشموخ بالأنف، والأساليب جمعُ الأسلوب، والأُسلوب بضم الهمزة:



الفَّن، فإذا قيل: أخذ فلانٌ في أساليبَ من القول، يعني: أفانين منه[1]، ويطلق الأسلوب أيضاً على عُنُقُ الأسد؛ لأنها لا تثنى[2].

الأسلوب إصطلاحاً: تناول عدد من العلماء المعنى الإصطلاحي للأسلوب، فعند عبد القاهر الجرجاني الأسلوب هو: "الضّربُ من النظم والطريقةُ فيه"[3]. بينما يرى ابن خلدون أن الأسلوب هو: "صورة ذهنيّة للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص"[4].

ولو تاملنا كلا التعريفين نرى أن الأسلوب عندهم تطابق اللفظ للصورة الذهنية؛ أي بعد أن تتكون الصورة في الذهن ثم يعبر عن هذه الصورة أو التفكير بالألفاظ والتعابير.

وهذان التعريفان إنما تناولا الأسلوب من منظورٍ أدبي، وليس الأسلوب بشكل عام، حيث هناك تعريف أعم وأشمل لمعنى الأسلوب في اصطلاح العلماء ذكره الزرقاني، حيث قال: "تواضع المتأدبون وعلماء العربية على أن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو طابع الكلام، أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك"[5].

المطلب الثاني

مفهوم الخطاب والخطاب القرآني الخطاب لغة: أصل الكلمة (خَطَبَ)، وهي تأتي بمعان عديدة في اللغة، "فالخَطْبُ: سبب الامر"[6]، وتأتي بمعنى الشَّأْنُ أو الأَمْرُ، صَغُر أَو عَظُم[7]، كما في قوله تعالى: {قَالَ فَمَا

---

(1) أحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ)، ج1، ص473.

(2) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية)، ج3، ص71.

(3) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، (القاهرة: مطبعة المدني، ط3، 1413هـ / 1992م)، ص468-469.

(4) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت: دار الفكر، ط2، 1408هـ / 1988م)، ج1، ص786.

(5) حمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط2)، ج2، ص303.

(6) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ / 1987م)، ج1، ص121.

(7) ابن منظور، لسان العرب، ج1،ص360.



خَطْبُكَ يَا سَامِرِي}[طه: ٩٥]، "أي: ما أمرك وشأنك"[8]، والخَطْبُ والمخَاطَبة، وخطاباً بمعنى: الكلام بين المتكلم والسامع[9]، تقول: خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، فهُما يَتخاطَبان، وخَطَب الخاطِبُ على المِنْبَر، واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً[10]، والخُطَبَة بالضمة يقال في الموعظة[11]، أما الخِطبة بالكسرة فتأتي بمعنى النكاح أو طلب المرأة[12]، قال تعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ }[البقرة: ٢٣٥].

الخطاب إصطلاحاً: تعددت تعاريف الخطاب في الإصطلاح بين العلماء، فقال إبن فورك: "الخطاب: توجيه الكلام إلى مدرِكٍ له"[13]. وقال الآمدي: الخطاب "اللفظ الْمُتَوَاضَعُ عليه المقصود به إفهام من هو مُتَهَيِّئٌ لِفَهْمِه"[14]، أما الزركشي فإنه عندما تحدث عن المعنى الإصطلاحي للخطاب عرض آراء عديدة للعلماء في الخطاب ثم بيان الاختلاف بين هذه الآراء، فقال: "الخطاب عرفه المتقدمون بأنه: الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ للفهم. وعرفه قوم بأنه ما يقصد به الإفهام أعم من أن يكون من قصد إفهامه متهيئا أم لا. قيل: والأولى أن يفسر بمدلول ما يقصد به الإفهام؛ لأن الكلام عند الأشعري هو النفسي، والنفسي لا يقصد به الإفهام، وفيه نظر؛ لأن قصد الخطاب مع النفس أو العين سواء، وفي وصف كلام الله في الأزل بالخطاب خلاف. الصحيح: وبه قال الأشعري: أنه يسمى خطاباً عند وجود المخاطب. قال ابن القشيري: وهو الصحيح، وجزم القاضي أبو بكر بالمنع؛ لأنه لا يعقل إلا من مخاطِب ومخاطَب"[15]. وقيل: "الخطاب هو توجيه اللفظ المفيد إلى الغير، بحيث يسمعه ويفهمه"[16].

---

(8) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ / 1964م)، ج11، ص239.

(9) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت: المكتبة العلمية)، ج1، ص173.

(10) ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص361.

(11) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج1، ص173..

(12) أبو القاسم الحسين بن محمد، الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (بيروت: دار القلم، ط1، 1412هـ)، ص286.

(13) أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك، تفسير ابن فورك، من أول سورة نوح إلى آخر سورة الناس، دراسة وتحقيق: سهيمة بنت محمد سعيد محمد أحمد بخاري، (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ط1، 1430هـ / 2009 م)، ج3، ص133.

(14) أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، (بيروت: المكتب الإسلامي)، ج1، ص95.

(15) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، (دار الكتبي، ط1، 1414هـ / 1994م)، ج1، ص168.

(16) عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، (الرياض: مكتبة الرشد، ط1، 1420هـ / 1999م)، ج1، ص125.



من خلال هذه التعاريف نستطيع القول أن صفوة أقوال العلماء في التعريف الإصطلاحي للخطاب: هو الكلام المفيد الموجه إلى من هو مُتَهَيِّئ لفهمه.

هذا وقد ورد لفظ الخطاب على المستوى الجذري في القرآن الكريم إثنتا عشر مرة، وهذه الألفاظ تتغير معانيها بحسب صِيَغِها وموقعها في الآية الكريمة.

وأما المقصود بالخطاب القرآني يعني آياته، والذي هو كلام الله تعالى المنزل على نبيناً محمد ﷺ، ولكن هذا الكلام مسندٌ إلى القرآن.

لذا فالخطاب القرآني هو خطاب الله تبارك وتعالى، وخطاب الله تعالى أحكامه الشرعية، التي فيها أوامر الله تعالى ونواهيه، وما إلى ذلك من الأحكام. قال تقي الحصني: "والحكم خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين، سواء كان طلب فعل كالواجب والمندوب، أو طلب كف كالحرام والمكروه، أو كان فيه تخيير كالاباحة"[17].

والخطاب القرآني يخاطب الناس جميعاً، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣]، فهو يخاطب المسلمين بكافة أطيافهم، ويخاطب أهل الكتاب كافة، ويخاطب المشركين بكافة أنواعهم، ويخاطب الدهريين والملحدين على اختلاف أنواعهم، وهو خطاب باقٍ إلى يوم القيام، وتصلح لكل عصر، ولكل ظروف. يقول الْحَرَالِّي في وصف الخطاب القرآني: "خطاب القرآن قائم دائم ماض كلية خطابه في غابر اليوم المحمدي، مع من يناسب أحوال من تقدم منهم، وفي حق المرء مع نفسه في أوقات مختلفة"[18]. لذا فهو خطاب ليس كغيره من الخطاب؛ لأنه يعلو على سائر الكلام ولا يُعلى عليه.

وللخطاب القرآني وجوه متعددة، إلا أن العلماء اختلفوا في عددها، فقد ذكر ابن الجوزي في كتابه المدهش، أنه على خمسة عشر وجهاً وهي: "خطاب عام (خَلقكُم)، وخطاب خاص (أكفرتم)، وخطاب الجنس (يَا أَيهَا النَّاس)، وخطاب النَّوْع (يا بني آدم)، وخطاب العين (يا آدم)، وخطاب المدح (يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا)، وخطاب الذَّم (يَا أَيهَا الَّذين كفرُوا)، وخطاب الْكَرَامَة (يَا أَيهَا النَّبِي)، وخطاب التودد (قَالَ ابْن أم إِن الْقَوْم)، وخطاب الجمع بلفظ الواحد

---

[17] أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين، كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار، تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، (دمشق: دار الخير، ط1، 1994م)، ص345.

[18] الحَرَالِّيُّ أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي، تراث أبي الحسن الْحَرَالِّي المراكشي في التفسير، تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، (الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، ط1، 1418هـ/ 1997م)، ص544.



(يَا أَيهَا الْإِنْسَان مَا غَرَّك)، وخطاب الواحد بلفظ الجمع (وَإِن عَاقَبْتُمْ)، وخطاب الواحد بلفظ الاثنين (ألقيا فِي جَهَنَّم)، وخطاب الاثنين بلفظ الواحد (فَمن رَبكُمَا يَا مُوسَى)، وخطاب العين والمراد به الغير (فَإِن كنت فِي شكّ)، وخطاب التلو وهو ثلاثة أوجه أحدها أن يخاطب ثم يخبر (حَتَّى إِذا كُنْتُم فِي الْفلك وجرين بهم بريح)،... والثاني أن يخبر ثم يُخاطب (فَأَما الَّذين اسودت وُجُوههم أكفرتم)، والثالث أن

يخاطب عينا ثم يصرف الخطاب إلى الغير (إِنَّا أَرْسَلْنَاك شَاهدا وَمُبشرا وَنَذِيرا لتؤمنوا بِاللَّه وَرَسُوله) وهذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو فانهما قرءا بالياء"[19].

ومن العلماء زاد هذه الأوجه حتى عدها وأوصلها إلى أكثر من ثلاثين وجهاً. وقال بعض آخر إن خطاب القرآن إنما هو ثلاثة أقسام: قسم لا يصح إلا للنبي ﷺ وهو خاص به، وقسم لغير النبي ﷺ ولا يصلح له، وقسم لهما[20].

المطلب الثالث

المقصود بغير المسلمن.

أرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة ليكون بشيراً ونذيراً، حيث قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ: ٢٨]، ومبعوثاً لهداية الناس بكافة أطيافهم وأصنافهم، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف: ١٥٨]، لذلك فإن القرآن أُنزل ليخاطب الناس جميعاً، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، ويقصد بغير المسلمين الذين جاء ذكرهم في القرآن، وهم: اليهود، والنصارى، والصابئة، والمجوس، والمشركون، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد} [الحج: ١٧]، والملحدون الذين سموا بالدهريين، كما في قوله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّون} [الجاثية: ٢٤]، والمنافقون، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النساء: ١٤٥].

---

(19) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المدهش، تحقيق: مروان قباني، (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ط2، 1405هـ / 1985م)، ص15-16.

(20) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م)، ج3، ص115-116.



المبحث الثاني

أنواع الأساليب في خطاب غير المسلمين

يتناول هذا المبحث أنواع الأساليب التي خاطب الله تعالى بها غير المسلمين، إلا أننا نذكر بعضاً من هذه الأساليب لأنها كثيرة جداً تجنباً للإطالة، لذا يتضمن هذا المبحث عدة مطالب:

المطلب الأول

الأساليب اللغوية والتصويرية

يندرج تحت هذا الأسلوبين مجموعة من الأساليب، نذكر بعضاً منها بالأمثلة.

أولاً أسلوب الحقيقة

قال الجصاص: "فالحقيقةُ ما سُمِّيَ به الشَّيءُ في أَصل اللغة وموضُوعها"[21]، فيشمل هذا التعريف الوضع اللغوي، والشرعي، والعرفي، والاصطلاحي[22].

وقال عبد القاهر الجرجاني: "الحقيقة: ما لا إشكال في وجهه ولم يُصرف عن ظاهره"[23]، وقال ابن الأثير الكاتب: "الحقيقة: هي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي"[24]. وقال الإسنوي: "الْحَقِيقَة هُوَ اللَّفْظ الْمُسْتَعْمل فِيمَا وضع لَهُ"[25].

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جاءت بأسلوب الحقيقة نحو قوله تعالى: {فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ} [التوبة: ٢]، نزلت هذه الآية الكريمة في المشركين الذين عاهدهم

---

[21] أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، الفصول في الأصول، (وزارة الأوقاف الكويتية، ط2، 1414هـ/ 1994م)، ج1، ص359.

[22] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، (دار الكتاب العربي، ط1، 1419هـ / 1999م)، ج1، ص61.

[23] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دَرْجُ الدُّرر في تفسير الآي والسور، تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وإياد عبد اللطيف القيسي، (بريطانيا: مجلة الحكمة، ط1، 1429هـ / 2008م)، ج1، ص161.

[24] نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، ابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1420هـ)، ص74.

[25] عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1400هـ)، ص185.



رسول الله ﷺ على أن لا يكون بينهم قتال إلى مدة معلومة[26]، وهذا ما يؤكده الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة: ١]، فهذه الآية تخاطب المشركين بأسلوب الحقيقة في خزي الكافرين، أي: واعلموا أن الله مُذلُّ الكافرين، ومصيبهم العارَ في الدنيا، وعذاب النار في الآخرة[27]، فقوله: {مُخْزِي الْكَافِرِين} حقيقة في الخزي والذل الذي يصيب الكافرين؛ وذلك لتهويل الأمر عليهم وتخويفهم من عذاب الله تعالى وقوة المسلمين. ومثل هذا النوع من الأساليب لاتحتاج إلى النية في تحديد الكلمة؛ لأن الكلمة المستخدمة فيها موضوع لمعناه الحقيقي.

ثانياً: أسلوب المجاز.

كان المجاز كان موضع اهتمام العلماء؛ لذلك عرفه كثير من العلماء، قال الجرجاني: "المجاز: ما تَوَسّع الناسُ فيه لفظًا واصطلحوا عليه واستجازوه إما ضرورةً كتسمية الرجل كلبًا وأسدًا، وإما اختيارًا للتخفيف والعادة، كقولهم: طَلَعَ الفجرُ وأظْلَم الليلُ ونبتَ الشجرُ"[28]، وقال فخر الدين الرازي: "المجاز ما أفيد به معنى مصطلح عليه غير ما اصطلح عليه في أصل تلك المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الأول"[29].

فمن أسلوب المجاز قوله تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: ٧٤]، نزلت الآية الكريمة في بني إسرائيل[30]، فضرب الله تعالى لقلوبهم مثلاً بالحجارة، وشبهها بها؛ وذلك لقسوتها، وشدة صلابتها، بل قد يكون أشد قسوة من الحجارة، وذلك: أن من الحجارة مع صلابتها وشدتها، وفقد أسباب الفهم والعقل منها، وزوال الخطاب عنها ما تخضع لأوامر الله تعالى، وتتصدع[31]؛ كقوله: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [الحشر: ٢١]، وكقوله تعالى: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا} [الأعراف: ١٤٣]. وقوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا

---

(26) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ / 2000م)، ج14، ص96.

(27) المرجع نفسه.

(28) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ / 1983م)، ج1، ص161.

(29) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج1، ص286؛ الشوكاني، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، ج1، ص63.

(30) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج2، ص233.

(31) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1426 هـ / 2005 م)، ج1، ص496.



اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}، مجاز عقلي؛ لأنه مجاز من الانقياد لأمره تعالى والمعنى: أن الحجارة كلها منقادة لأمر الله عز وجل، وهم غير مستعصين له، وقلوبهم ليست كقلوب هؤلاء اليهود(32).

ثالثاً: ضرب الأمثلة:

يَعُدّ ضرب الأمثلة من أحدى طرق الأسلوب التصويري في القرآن الكريم، وهذا النوع من الأسلوب كثيرة جداً، حتى تكاد لا تخلو سورة من القرآن إلا وفيها هذا النوع من الأسلوب، وقد جاء هذا الأسلوب في القرآن ليُبين الله تعالى للناس صدق ما جاء به نبيه محمد ﷺ، وليبيان زيف وبطلان ما عليه الذين لا يؤمنون بما أنزله الله في هذا القرآن الكريم، قال تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف: ٥٤]، يقول الزجاج في تفسير هذه الآية: "أي: من كل مثل يحتاجون إليه، أي: بَيَّناهُ لهم"(33)، وفي تفسير (مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) قال الماتريدي: "أي: ذكرنا للناس مثلًا على أثر مثل، ومثلًا بعد مثل ما لو تفكروا فيه، وتأمّلوا لعرفوا صدق رسول الله ﷺ، وكذب أنفسهم وسَفَهِهم، ولعرفوا الحق من الباطل والمحق من المبطل، ولكن لم يتفكروا فيه ولم يتأملوا وعاندوا"(34).

فمن ضرب الأمثلة في خطاب غير قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِي} [الجمعة: ٥]. هناك اختلاف في من هم المقصود بالذين حملوا التوراة، قال الطبري: "مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى"(35)، بينما يرى الزمخشري أن المقصود بهم اليهود، حيث قال: "شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها"(36).

فهذا المثل ضربه الله تعالى لليهود، أو لليهود والنصارى معاً، على اختلاف الرأيين، وفيها شبه الله تعالى حال حاملي التوراة بالحمار الذي يحمل حملاً ولا ينتفع منها، وإنما له الثقل والتعب فقط، ومعلوم أن هذا ليس لصالحه، لذلك

---

(32) محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، (دمشق: دار الرشيد، ط4، 1418هـ)، ج1، ص167.

(33) إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1408هـ / 1988م)، ج3، ص296.

(34) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج7، ص110.

(35) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج23، ص377.

(36) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، ج4، ص530.



شبه الله تعالى حالهم بهذا الحمار لأنهم لم ينتفعوا من ما فيها من الأحكام وأوامر الله تعالى الذي يكون سبباً للهداية، والنجاة من عذاب الآخرة.

فاختيار الحمار مثلاً لمن يقرأ التوراة ولا يعمل بأحكامها، ومع هذا يعصي الله، ويقتلون أنبائه، يثير إنفعال الاشمئزاز من هؤلاء والشعور بتفاهتهم والاحتقار لمعاني الشرك والكفر، وضياع التفكير السليم عند المشركين، وهو من المواقف التعليمية التي تجسد صفات اليهود"[37].

المطلب الثاني

الأسلوب الفكري والعقائدي

يَعُدُّ الأسلوب الفكري من أهم أساليب المخاطبة والحوار؛ لأثبات الحقائق ومناقشتها، وقد جاء كثير من الآيات القرآن الكريم بهذا الأسلوب مخاطباً المشركين والكفار؛ من أجل بيان العقيدة الصحيحة من العقيدة الفاسدة التي ظل الكفار متمسكين بها، ومن هذا الأسلوب في القرآن الكريم، قوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: ١٦ – ١٧]، الآية خطاب للنصارى القائلين بألوهية عيسى عليه السلام، ففيه أن من يقول بألوهية عيسى فهو كافر، ومن ثم يرد الله تعالى على القائلين بهذا الكفر بأسلوب فكري، يخاطب عقولهم ليرجعوا إلى رشدهم، فقال تعالى: {قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}، فالله سبحانه وتعالى وجه إليهم سؤالاً يجعلهم يتفكروا ويرجعوا إلى عقولهم، حيث قال: فمن يقدر أن يدفع من عذاب الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم، فلو كان المسيح كما تزعمون إلها، لوجب أن يكون له القدرة في أن يرد أمر الله إذا جاءه بإهلاكه أو إهلاك أمه، ولما نزل أمر الله بأمه، لم يقدر أن يدفع عنها[38].

(37) إبراهيم بن سليمان آل هويمل، تقويم تعليم حفظ القرآن الكريم وتعليمه في حلقات جمعيات تحفيظ القرآن الكريم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف)، ص19.

(38) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ)، ج1، ص530.



المطلب الثالث

الأسلوب المنطقي

الأسلوب المنطقي أسلوب في غاية الأهمية؛ لأنه يعتمد على القوانين والطرائق الفكرية الصحيحة، هدفه صون الفكر عن الوقوع في الأخطاء؛ وذلك عن طريق تفنيد الأفكار والآراء الخاطئة، وانتقاد تلك الأفكار، ومن ثم تثبيت ما هو حقيقي وصواب، بأسلوب منطقي ومقبول لدى أصحاب العقول السليمة.

فمن الأسلوب المنطقي قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: ١١١]، كان اليهود يقولون لن يدخل الجنة ألا من كان يهودياً، وكذلك قالت النصارى مثل قولهم، ولكن الله تعالى رد عليهم رداً منطقياً أسكتهم بقوله: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: ٩٤]، قال الطبري: أي "إن كنتم محقين فتمنوا الموت، فإن ذلك غير ضاركم، إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة"[39]. إذ ليس من المنطق أن من كان ينتظره جنات تجري من تحتها الأنهار ونعيمها، أن يبقى في هذه الدنيا التي هي دار الأختبار والمشقة والسعي، قال الطبري: "بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار. ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ، لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا»"[40].

المطلب الرابع

الأسلوب العاطفي

إهتم القرآن الكريم في خطاباته بمسألة العطف والرفق بعباده اهتماماً كبيراً، وأتخذه أسلوبا في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن الله سبحانه تعالى عندما بدء بإرسال الرسل إلى عباده في الأرض إنما لأنه يعطف عليهم ويترفق بهم من أن يضلهم الشيطان، ولا يكونوا من أصحاب النار، قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} [الزمر: ٧١]، فالله سبحانه وتعالى يريد الخير لعباده، ويستخدم أساليب متنوعة في سبيل الدعوة إلى منهجه الحق، الذي إن سلكه الإنسان لن يضل أبدا، قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].

---

(39) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج2، ص361.

(40) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج2، ص362.



فمن الأسلوب العاطفي قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٢٦ – ٢٧]، فلفظ بني آدم عام يشمل كل إنسان، مسلمين كانوا، أو مشركين، أو منافقين، أو ملحدين، فالكل داخل ضمن هذا اللفظ، إلا أن الآية الكريمة نزلت خطاباً للمشركين من العرب الذين كانوا يطوفون حول الكعبة وهم عراة، حيث زين لهم الشيطان أعمالهم، وتركوا طاعة الله تعالى، حتى تمكن منهم فَسَلَبَهُم من سِتر الله الذي أنعم به عليهم[41]، وجاء الخطاب بأسلوب عاطفي، وذلك بقوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ} ، حيث لم يخاطبهم حسب أفعالهم التي هي الشرك بأن يقول لهم يا أيها المشركون، يقول ابن عاشور: "وابتدئ الخطاب بالنداء ليقع إقبالهم على ما بعده بشراشر قلوبهم، وكان لاختيار استحضارهم عند الخطاب بعنوان بني آدم مرتين وقع عجيب، بعد الفراغ من ذكر قصة خلق آدم وما لقيه من وسوسة الشيطان: وذلك أن شأن الذرية أن تثأر لآبائها، وتعادي عدوهم، وتحترس من الوقوع في شركه"[42]. وقوله تعالى: {لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} ، ليعتبروا ويتعظوا، وذلك رحمة من الله بهم كما يقول الطبري: "يقول جل ثناؤه: جعلت ذلك لهم دليلا على ما وصفت، ليذكروا فيعتبروا وينيبوا إلى الحق وترك الباطل، رحمة مني بعبادي"[43]. والرحمة بالعباد إنما من باب العطف عليهم؛ لأن الرحمة والعطف متلازمان معاً.

المطلب الخامس

أسلوب التعجيز

التعجيز هو "فعل ما لا يقدر عليه المخاطب"[44]، وتتغير المعنى الإصطلاحي لهذا المفهوم حسب استخدامها، فعند الفقهاء: "التَّعْجِيزُ مِنْ الْمُكَاتَبِ أَن يعترف بِعَجْزِهِ عن أَدَاء بدل الكِتَابة وحقيقته، النِّسْبَةُ إلى الْعَجْز"[45]، أما الإعجاز

---

(41) الطبري، المرجع نفسه، ج12، ص360؛ الماوردي، النكت والعيون، ج2، ص213.

(42) ابن عاشور، التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير كتاب الله المجيد، ج8، ص73.

(43) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج12، ص372.

(44) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ)، ج3، ص462.

(45) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م)، ج1، ص219.



فِي كلام الله تعالى: هو أَن يُؤَدِّي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداهُ من الطّرق الأخرى(46). والمعجزة: هي أمر خارق للعادة، مقرون بدعوى النبوة، والقصد به إظهار صدق دعواه، على أنه مرسل من عند الله تعالى(47)

وعليه فالتعجيز يكون: الأمر الذي تحدى به الله تعالى خلقه ليس في مقدورهم أن يَفْعَلوا ما طُلِبوا منهم، وبذلك يثبت عجزهم وفشلهم وإن لم يعترفوا بذلك، كما في قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأحقاف: ٤]، نزلت الآية الكريمة في المشركين، فقال الله تعالى ذكره: قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين بالله من قومك: أرأيتم أيها القوم الآلهة والأوثان التي تعبدونهم من دون الله، إن كانوا يستحقون العبادة أروني أي شيء خلقوا من الأرض؟ فإن الرب الذي أنا أعبده هو الذي خلق الأرض وكل ما عليها، فإن كنتم تعبدونهم من أجل أنها تخلق، ما خلقت من ذلك آلهة وأربابا، حتى يكون لكم حجة، لإن حجتي على عبادتي إلهي، وإفرادي له الألوهة، أنه خلق الأرض فابتدعها من غير أصل(48).

وقد جاء أسلوب التعجيز بقوله تعالى: {أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا} ، قال ابن عاشور: "والأمر في أروني ماذا خلقوا من الأرض مستعمل في التسخير والتعجيز كناية عن النفي إن لم يخلقوا من الأرض شيئا فلا تستطيعوا أن تروني شيئا خلقوه في الأرض، وهذا من رؤوس مسائل المناظرة، وهو مطالبة المدعي بالدليل على إثبات دعواه"(49). فالخطاب جاء ليبين لهم أنهم وآلهتم التي يعبدونها من دون الله عاجزون، فهم عاجزون على أن يقولوا أن آلهتهم خالق الأشياء، وآلهتهم عاجزة على أن تدفع عن نفسها وتقول أنني قادرة على أن أخلق.

المطلب السادس

الأسلوب القصصي لأخذ العبرة

ومن أسلوب القصة في خطاب غير المسلمين قوله تعالى: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

---

(46) الجرجاني، كتاب التعريفات، ج1، ص69.

(47) المرجع نفسه، ص219.

(48) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج22، ص92.

(49) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص9.



(164) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [الأعراف: ١٦٣ – ١٦٦]، قال قتادة: "إن اليهود سألوا نبي الله ﷺ عن ذي القرنين، فأنزل الله تعالى هذه الآيات"[50].

فهذه القصة تقدم نموذجاً قوياً للذين يعصون الله تعالى ولا ينقادون إلى أوامره ونواهيه، كيف كان مصيرهم نتيجة عصيانهم وتحايلهم، ونموذجاً لفريق المؤمنين الذين لا يعصون الله في أمرهم، ولا يقتربون ما نهاهم الله تعالى، كيف كان نجاتهم من عقوبته التي نزلت على المذنبين.

المطلب السابع

أسلوب الترغيب والترهيب

الأصل في الترغيب أن يكون ترغيباً من أجل نيل رضى الله سبحانه وتعالى، ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وأن يكون الترهيب ترهيباً بالتخويف من غضب الله تعالى وعذابه وعقابه في الآخرة[51].

نحو قوله تعالى: {لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب: ٢٤]، جاء الآية الكريمة بأسلوبي الترغيب والترهيب معاً، فالآية خطاب للمؤمنين، والذي فيها لهم الترغيب بالجزاء والذي هو الجنة، ما داموا صادقين مؤمنين بالله ورسوله مع العمل الصالح.

وفيها الترهيب بالعذاب، والذي هو جهنم وما فيها من صور العذاب للمنافقين وغيرهم، جزاء نفاقهم، وفيها الترغيب لمن تاب من هؤلاء المنافقين، وندم على ما كان عليه، وعمل صالحاً، فيتوب الله له إذا تاب، ومن تاب الله عليه فإن له الجنة.

ومعنى قوله تعالى: {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم}، أي: بسبب بكفرهم ونقضهم ما عاهدوا الله عليه، أو يتوب عليهم، أي: يخرجهم من النفاق إلى الإيمان به. ومعنى هذا الاستثناء يعنى: ويعذب الله تعالى المنافقين، وذلك بأن لا يتوب عليهم ماداموا على النفاق، ولا يوفقهم للتوبة، فيموتوا على نفاقهم إن شاء، فيجب عليهم العذاب، وهذا العذاب لا بد منه للمنافق؛ لأنه كافر، وهذا الاستثناء إنما هو من أجل التوفيق لا من أجل العذاب،

---

[50] أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، (الدمام: دار الإصلاح، ط2، 1412هـ / 1992م)، ص298.

[51] عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، (مؤسسة الرسالة، ط9، 1421هـ/ 2001م)، ص437.



ويبين ذلك من قوله: {أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم}، فالمعنى ويعذب المنافقين إن لم يهدهم للتوبة، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم[52].

المبحث الثالث

الحكمة من تنوع أساليب القرآن في خطاب غير المسلمين

أرسل الله تعالى رُسُلَهُ من أجل هداية الناس إلى طريق الحق، وأنزل إليهم الكتب ليهتدي به الناس، وليبين لهم الحق ويبطل الباطل؛ لذلك كان مهام رسل الله تعالى وأنبيائه أن يبلغوا الناس ما أنزل إليهم من ربهم، ويدعونهم إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وينهوا عن عبادة الأصنام والأوثان، أو عبادة العباد.

ويرى الباحث أن القرآن يهدف إلى أمرين أساسين وهما: الأول: الدعوة إلى عبادة الله الواحد القهار، وذلك من خلال تلك الآيات التي تخاطب الناس بمختلف الأساليب لإنقاعهم بأنه لا إله إلا الله، وهو خالق الكون وما فيها، كما يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٢١]، وقوله تعالى: {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة: ٤١ – ٤٣]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، وكما يبين لهم كيفية العبادة كما يقول تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة: ٤٣]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]، وهكذا جميع الآيات التي تدعوا إلى عبادة الله.

والثاني: تنظيم أمور الناس، فالإنسان إذا آمن بالله وعبده على أتم الوجه فإن المسألة لا تنتهي؛ لأن لكل إنسان حي فترة من العمر يقضيها في الدينا، سواء كانت الفترة طويلة، أو قصيرة، وهو خلال هذه الفترة يحتاج إلى الطعام والشراب ليبقى حياً حتى يعبد الله وكيف يعبده، وكذلك يحتاج إلى التعامل مع أفراد المجتمع، والسعي وراء لقمة العيش، والتعاون مع المجتمع تحتاجان إلى سنن وقوانين لمعرفة الحلال والحرام، ولتفادي المشاكل بين الناس؛ لذلك أنزل الله تعالى آيات يبين للناس ماذا يأكل وماذا يشرب، كما في قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ

---

(52) أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: الشاهد البوشيخي، (جامعة الشارقة، ط1، 11429هـ / 2008م)، ج9، ص5817.



الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [المائدة: ٤]، وما الذي حرم عليه تناوله، كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم} [البقرة: ١٧٣]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ٩٠]، وآياتٌ تبين للناس كيفية الحكم والقضاء بين الناس كما يقول تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: ٣٨]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا} [البقرة: 282] إلى آخر الآية، في مسألة الدَين وكيفيته، والآيات كثيرة من هذا الجانب، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيم} [الحجرات: 12]، في النهي عن المساس بحقوق الآخرين.

إلا أن الأمر الأول هو الأصل، والثاني فرع لها؛ لأن الحكمة من خلق الإنسان هو عبادة الله تعالى، كما قول: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُون} [الذاريات: 56- 57] ؛ ولأن الأصل في خلق الإنسان أن يعبد الله تعالى وحده، جاءت الآيات لتدعوهم إلى عبادة الله تعالى، بعد أن أضل الشيطان الكثير من الناس، فسلكوا طريقاً غير طريق الحق.

والناس كما هو معلوم متنوع الطبائع، ومختلف الأزمان، لذلك تنوعت الأساليب القرآن في خطاب الإنسان مراعياً تلك الطبائع، ومراعياً إختلاف الزمان؛ لأن طبيعة التأثير تختلف من إنسان إلى آخر، وكذلك تختلف زمن المخاطبين من عصر إلى عصر آخر.

وقد جاءت تلك الخطابات بأساليب متنوعة بهدف التأثير على المخاطب حسب حاله وطبعه، فمن مخاطبة للفطرة الإنسانية، ومن استدلال بواقع الأشياء المحسوسة، إلى مجادلة عقلية، إلى تذكير بعاقبة الأمم السابقة، إلى لفت نظر إلى واقع القصور البشري، ولما كان المخاطبون هم جملة الناس بمختلف طبقاتهم وفئاتهم وعلى اختلاف مستوياتهم



الفكرية والثقافية، جاء في القرآن الكريم من الأساليب والأدلة والأمثال ما يعم الشرائح الاجتماعية على مختلف العصور والبيئات[53].

فالحكمة إذاً من تنوع الأساليب إنما هي للتأثير على المخاطبين بكافة أصنافهم وأطيافهم، وإقناعهم بعبادة الله تعالى، والتصديق بما جاء به محمد ﷺ وإعتناق الإسلام، فإن تنوع أساليب القرآن في الخطاب إنما هي لتنوع أصناف الإنسان.

لذلك سلك القرآن الكريم كل سبيل، ليصل الى نفوس غير المسلمين، ويقنع الجاحدين، ويثبّت المؤمنين، وقد لوّن القرآن في طرق الهداية والدعوة، ومواجهة النفوس الجامحة[54]. يقول سيد قطب: "والذي يقرأ هذا القرآن- وهو مستحضر في ذهنه لأحداث السيرة- يشعر بالقوة الغالبة والسلطان البالغ الذي كان هذا القرآن يواجه به النفوس في مكة ويروضها حتى تسلس قيادها راغبة مختارة. ويرى أنه كان يواجه النفوس بأساليب متنوعة تنوعاً عجيبا، تارة يواجهها بما يشبه الطوفان الغامر من الدلائل الموحية والمؤثرات الجارفة، وتارة يواجهها بما يشبه الهراسة الساحقة التي لا يثبت لها شيء مما هو راسخ في كيانها من التصورات والرواسب، وتارة يواجهها بما يشبه السياط اللاذعة تلهب الحس فلا يطيق وقعها ولا يصبر على لذعها، وتارة يواجهها بما يشبه المناجاة الحبيبة، والمسارة الودود، التي تهفو لها المشاعر وتأنس لها القلوب، وتارة يواجهها بالهول المرعب، والصرخة المفزعة، التي تفتح الأعين على الخطر الداهم القريب، وتارة يواجهها بالحقيقة في بساطة ونصاعة لا تدع مجالا للتلفت عنها ولا الجدال فيها، وتارة يواجهها بالرجاء الصبوح والأمل الندي الذي يهتف لها ويناجيها، وتارة يتخلل مساربها ودروبها ومنحنياتها فيلقي عليها الأضواء التي تكشفها لذاتها فترى ما يجري في داخلها رأي العين، وتخجل من بعضه، وتكره بعضه، وتتيقظ لحركاتها وانفعالاتها التي كانت غافلة عنها"[55].

ولذلك فإن القرآن الكريم يختار أفضل أساليب الخطاب لهداية الناس، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: 9]. يقول ابن عاشور: "لأن القرآن جاء بأسلوب من الإرشاد قويم ذي أفنان لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقول حائل، ولا يغادر مسلكاً إلى ناحية

---

(53) مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، (دمشق: دار القلم، ط3، 1426هـ/ 2005)، ص157.

(54) جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، (بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط1، 1420هـ)، ج1، ص143.

(55) سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، (بيروت، القاهرة: دار الشروق، ط17، 1412هـ)، ج6، ص3692-3693.



من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها تحريضا أو تحذيرا، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه اجتناء ثمار أفنانه، وبتلك الأساليب التي لم تبلغها الكتب السابقة كانت الطريقة التي يهدي إلى سلوكها أقوم من الطرائق الأخرى وإن كانت الغاية المقصود الوصول إليها واحدة"[56].

فاختلاف طبائع الناس تحتاج إلى تنوع الأساليب حسب تنوع الأصناف، فهناك صنف من الناس من تتأثر بقوة البلاغة، وفصاحة اللسان، ومن المستحيل مقارنة بلاغة الإنسان ببلاغة القرآن، والذي يشمل هذا الجانب تلك الأساليب اللغوية التي تتضمن أسلوب الحقيقة، والمجاز، والصريح، والكناية، والإيجاز والإطناب. كما في إسلام عمر بن الخطاب ﵁، عندما قرأ سورة طه، وسمع أخته تقرأ سورة العلق، أثر في نفس عمر مما جعله يسلم، كما يروي الطبراني في المعجم الكبير عن ثوبان قال: "قال رسول الله ﷺ: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب» ، وقد ضرب أخته أول الليل، وهي تقرأ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 1]، حتى أظن أنه قتلها، ثم قام من السحر فسمع صوتها، تقرأ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، فقال: والله ما هذا بشعر، ولا همهمة، فذهب، حتى أتى رسول الله ﷺ، فوجد بلالا، على الباب فدفع الباب، فقال بلال: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقال: حتى أستأذن لك على رسول الله ﷺ، فقال بلال: يا رسول الله عمر بالباب، فقال رسول الله ﷺ: «إن يرد الله بعمر خيراً، أدخله في الدين» ، فقال لبلال: إفتح، وأخذ رسول الله ﷺ، بضبعيه، فهزه، فقال: «ما الذي تريد، وما الذي جئت؟» ، فقال له عمر: أعرض علي الذي تدعو إليه، قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله» ، فأسلم عمر مكانه وقال: «اخرج»"[57].

الذي أثَّر في نفس عمر بن الخطاب ﵁ بلاغة القرآن وفصاحته، إضافة إلى دعاء النبي ﷺ. وكما في قصة الوليد بن المغيرة عندما سمع القرآن من النبي ﷺ كيف وقع القرآن في نفسه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له قال: وماذا أقول، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله

---

(56) إبن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص40-41.

(57)سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2)، باب الثاء، من اسمه ثوبان، ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج2، ص97، رقم:1428.



الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره من غيره فنزلت: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر: 11]"[58]. وهكذا فإن صنف من الناس تؤثر عليهم الجانب البلاغي أكثر من أي شيء.

وهناك صنف من الناس تؤثر عليه القصص ويوليها اهتماماً كبيراً ويعتبر بها. لذلك جاءت كثير من آيات القرآن بأسلوب القصة، والتي تعد من أوسع أساليب القرآن الكريم في خطاب المشركين ودعوتهم إلى التوحيد، وذلك لما للقصة من تأثير في النفوس البشرية، ولسهولة حفظها وانتشارها بين الناس[59]، كما في قصة نوح عليه السلام مع قومه وابنه في قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (71) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ } [يونس: 71 - 73]، فمثل هذه القصص لها تأثير كبير في نفوس صنف كبير من الناس ويعتبر بها، فكما هي واضح من سياق الآية، أنها تتحدث عن فريقين، فريق المؤمنين كيف نجاهم الله تعالى من عذابه نتيجة إيمانهم بالله الواحد القهار، وفريق المشركين الكاذبين بآيات الله ورسوله كيف أهلكهم الله تعالى بعذابه، نتيجة شركهم بوحدانية الله تعالى وبآياته ورسوله، وبذلك تكون القصة قد وجهت رسالة للذين لا يؤمون بالله وبرسوله كيف سيكون مصيرهم، والتي أوضحت الآية بأنها الخسران والعذاب، وكيف سينجون من هذا العذاب والخسرآن إذا آمنوا.

وصنف من الناس من لا تنفع معه الأساليب البلاغية وما يشملها، ولا تنفع معه الأساليب القصصية؛ لأنه لا يتأثر بهما، لذلك فإن القرآن الكريم لا تتوقف عند هذا الحد؛ بل يأتي بأساليب أخرى لعلها تنفع معهم فيعودوا إلى رشدهم ويؤمنوا بالله سبحانه وتعالى، كأسلوب الترغيب والترهيب، الذي له التأثير الكبير على غريزة الإنسان. قال البدوي: "أما هدف القرآن الكريم فغرس عقيدة التوحيد في النفس، وانتزاع ما يخالف هذه العقيدة من الضمير، والدعوة إلى

(58) أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1411،1هـ/ 1990م)، كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر، ج2، ص97، رقم:3872.

(59) حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، (المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 1424هـ / 2004م)، ج1، ص492.



العمل الصالح المكوّن للإنسان المهذب الكامل، بسن القوانين المهذّبة للفرد، الناهضة بالجماعة. وإذا كان ذلك هو هدف القرآن، فإن المنهج القرآنى هو الذى يحقق هذا الهدف فى أكمل صوره، وأقوى مظاهره، ذلك أنه لكى يحمل على اتّباع ما يدعو إليه يمزج دعوته بالحث على اتباعها، ويضرب المثل بمن اتبع فنجح، أو ضل فخاب، ويتبع الحديث عن المؤمنين بذكر بعض الأحكام التى يجب أن يتبعها هؤلاء المؤمنون، ويعقب ذلك بالترغيب والترهيب، ثم يولى ذلك بوصف اليوم الآخر وما فيه من جنة أو نار، وهو في كل ذلك يتكئ على الغريزة الإنسانية التى تجعل المرء خاضعا بالترغيب حينا، والترهيب حينا آخر"[60].

وصنف من الناس من لا يقتنع ولا يتأثر إلا إذا خاطبته عن طريق الحوار والجدال المبني على أساس الأسلوب الفكري والمنطقي؛ لأنه مقتنع بشيء آخر، ويرى نفسه على الصواب؛ وذلك لاعتماده الكلي على عقله، وعقل الإنسان قاصر وناقص أمام علم الله تبارك وتعالى، ولذلك يحتاج هذا الصنف من الناس إلى تحليل القضايا ومناقشتها منقاشة منطقية وفكرية، ولذلك فهو في نهاية المطاف إما أن يقتنع ويقر بالصواب، وإما أن لا يقر ولايعترف، ولكن عدم إقراره يدخله في دائرة الجاهلين والذي هي من المزايا السيئة للإنسان؛ لأنه أنكر ما هو ثابت عقلاً ومنطقاً.

ومن الناس صنف لا تستطيع أن تقنعه إلا إذا خاطبته بأسلوب لين وعاطفي، حيث مثل هذا الصنف من الناس تغلبه جانب العاطفة والرفق ويستسلم لها بسهولة، إذ العاطفة والرفق تكون من أحدى أسباب الحصول على المراد، فعن النبي ﷺ عندما قال لعائشة رضي الله عنها: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»[61]؛ لأن في النفس الإنسانية قوتان: أحدهما قوة التفكير، والثاني قوة الوجدان. ولكل واحدة منهما حاجة غير حاجة أختها. فأما الأول: فتنقب عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به. وأما الثاني: فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم. والبيان التام هو الذي يوفّي لك هاتين الحاجتين، ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين، فيؤتيها حظّها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا"[62].

وصنف من الناس لاتهمه البلاغة، ولا الفصاحة، ولا أي شيء يتعلق بعلوم اللغة قطابة، لذا فالخطاب الذي يأتي بأسلوب بلاغي، أو بأسلوب قصصي، ليس له تأثير على نفوس هذا النوع من الصنف، بل ربما يتأثر بالماديات

---

(60) أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، من بلاغة القرآن، (القاهرة: نهضة المصر، 2005م)، ص175-176.

(61) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، كتاب البر والصلة ولآداب، باب فضل الرفق، ج4، ص2003.

(62) محمد سالم أبو عاصي، علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، (القاهرة: دار البصائر، ط1، 1426هـ / 2005م)، ص41.



والإكتشافات العلمية، وذلك ككثير من الملحدين، لذا نرى أن كثير من الأساليب القرآن جاء بأسلوب التحدي، كما في خلق الذباب، في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج: 73]، ففي هذه الآية الكريمة تحديان، الأول: إن الله سبحانه وتعالى خاطب الذين يدعون من دون الله وهم المشركين والكفار، الذين كانوا يعبدون الأصنام والأوثان، تحداهم على أن يَخْلُق من يعبدونهم ذبابة، تحداهم بشيء صغير، لم يتحداهم، بلخلق نجم في السماء، ولم يتحداهم بخلق جَمَل، ولم يتحداهم بخلق طير، بل تحداهم بشيء صغير، تحداهم بخلق حشرة صغيرة، والنتيجة أنهم عاجزون عن ذلك، لأن المخلوق لا يستطيع أن يخلق، ولأن الذي يتميز بصفة الخالق هو الله وحده. يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره وقلته، لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه، ولو اجتمع لخلقه جميعها"[63].

والثاني: تحدي على المستوى العلمي، الذي تتعلق بقوله تعالى: {وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}، في مسألة ما يسلبه الذباب من طعام، حيث تحدى الله تعالى الإنسان أن سترجع ما يسلبه الذباب إن كانوا قادرين على ذلك.

حيث كشفت العلوم المعاصرة، التي وصلت إلى قمتها، أن الذباب عندما يأخذ شيئا من الطعام، فإنه يفرز عليه عصارة خاصة من لعابه، وهذه العصارة تختلط بسرعة كبيرة تُقَدَّر بأجزاء من الثانية بهذا الطعام، مما يُسَهِّل على الذباب إمتصاصه بخرطومه، وعليه فالطعام المسلوب حتى وإن كان تافهاً لا قيمة له، لا يمكن استنقاذه واسترجاعه؛ لأنَّه يتحول كيميائياً إلى مُرَكَّب من نوع آخر بسبب هذه العُصارة قبل أن يدخل في جوف الذبابة، وكذلك من يَطلب هذا الطعام المسلوب ضَعيف دون استنقاذه[64]، حيث إن الإنسان وصل بعقله إلى علوم شتى مكنته من خلاله إلى اختراع آلات وأجهزة كبيرة وعملاقة، وأجهزة صغيرة ودقيقة، لكن مع كل هذه التكنلوجيا لا يستطيعون استرجاع ما يسلبه الذباب، وهذا التحدي باق ومفتوح لمن يريد المبارزة فيه إلى أن يرث الله الأرض ومن فيه.

لذا فمثل هذا النوع من الأسلوب تزداد الإهتمام بها كلما تقدم الزمان، وتقدم معها الإكتشافت والإختراعات.

لذلك فمن يتأمل هذا التحدِ الذي يزيد أكثر من ألف وأربعة مائة السنة، يكشف له أن هذا التحدِ يستحيل أن يكون من قبل بشر.

---

(63) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج18، ص685.

(64) يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، (دمشق: مكتبة إبن حجر، ط8، 1424هـ/2003م)، ص514.



وهكذا بالنسبة لبقية الأساليب القرآنية، حيث كل صنف من أصناف الإنسان قد يتأثر ويتقنع بأسلوب من هذه الأساليب، والغاية من نزول القرآن إنما هي لدعوة الناس إلى عبادة الله تعالى، والذي فيه مفازهم ونجاتهم من النار، وهذا من لطف الله تعالى وكرمه أن تنوع من أساليب القرآن من أجل إقناع أكبر فئة من الناس، فيؤمنوا به تعالى ويدخلهم جنته التي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.



الخاتمة ونتائج البحث

بعد أن منَّ الله تعالى عليَّ بإتمام هذا البحث المتواضع، توصل الباحث إلى جملة من النتائج والتي أهمها:

1. إن المخاطبون من غير المسلمين الذين ورد إسماؤهم في القرآن الكريم باللفظ هم: المشركون أو (الكفار)، واليهود، والنصارى، والصابئة، والمجوس، والملحدون (الدهريين).
2. كان الحكمة من تنوع أساليب القرآن في خطاب غير المسلمين لتنوع طبائع الإنسان، فكل فئة من الناس قد تتأثر وتقتنع بأسلوب من هذه الأساليب، لذلك راعى الله تعالى تلك الطبائع.
3. راعى القرآن الكريم في تنوع أساليبه الخطابية العامل الزمني لكل عصر من العصور، كما في تلك الأساليب التي يتحدى الله تعالى بها الخلق، كما في مسألة خلق الذباب، وما يسلبه الذباب من الطعام. ومسألة تكوين الكون، والصعود إلى السماء، وجريان الشمس، وتسابق الكوكبات وغيره.



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن الأثير الكاتب، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين. (1420هـ). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. (د.ط). بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
2. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1422هـ). زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. (ط1). بيروت: دار الكتاب العربي.
3. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (1405هـ / 1985م)، المدهش، تحقيق: مروان قباني، (ط2)، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.
4. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد. (1408هـ / 1988م). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة. (ط2). بيروت: دار الفكر.
5. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. (1984م). التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية للنشر.
6. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام. (1422هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
7. ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن. (1430هـ / 2009 م). تفسير ابن فورك، من أول سورة نوح إلى آخر سورة الناس، دراسة وتحقيق: سهيمة بنت محمد سعيد محمد أحمد بخاري. (ط1). المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى.
8. ابن قيم الجوزية، حمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. (1429هـ). الفوائد، تحقيق: محمد عزير شمس. (ط1). مكة المكرمة: دار عالم الفوائد.
9. ابن منظور، أحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين. (1414هـ). لسان العرب. (ط3). بيروت: دار صادر.



10. أبو عاصي، محمد سالم. (1426هـ / 2005م). علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات. (ط1). القاهرة: دار البصائر.
11. أحمد، يوسف الحاج. (1424هـ /2003م). موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة. (ط8). دمشق: مكتبة إبن حجر.
12. الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي. (1400هـ). التمهيد في تخريج الفروع على الأصول. تحقيق: د. محمد حسن هيتو. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.
13. آل هويمل، إبراهيم بن سليمان. (د.ت). تقويم تعليم حفظ القرآن الكريم وتعليمه في حلقات جمعيات تحفيظ القرآن الكريم. (د.ط). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
14. الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي. (د.ت) الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي. (د.ط). بيروت: المكتب الإسلامي.
15. البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي. (2005م). من بلاغة القرآن. (د.ط). القاهرة: نهضة مصر.
16. تقي الدين، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني. (1994م). كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار. تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان. (ط1). دمشق: دار الخير.
17. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (1403هـ /1983م). كتاب التعريفات. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
18. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي. (1414هـ / 1994م). الفصول في الأصول. (ط2). وزارة الأوقاف الكويتية.
19. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (1407هـ / 1987م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. (ط4) بيروت: دار العلم للملاين.
20. الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري. (1411هـ / 1990م). المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.



21. الحَرَالِّيُّ، أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي. (1418هـ / 1997م). تراث أبي الحسن الحْرَالِّي المراكشي في التفسير. تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، (ط1). الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي.

22. الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد. (1412هـ). المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي. (ط1). بيروت: دار القلم.

23. الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج. (1424هـ / 2004م). منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام. (ط1). المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

24. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق. (1408هـ / 1988م). معاني القرآن وإعرابه. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. (ط1). بيروت: عالم الكتب.

25. الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم. (د.ت). مناهل العرفان في علوم القرآن. (ط2). مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

26. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. (1414هـ / 1994م). البحر المحيط في أصول الفقه. (ط1). دار الكتبي.

27. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله. (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. (ط3). بيروت: دار الكتاب العربي.

28. سيد قطب. إبراهيم حسين الشاربي. (1412هـ). في ظلال القرآن. (ط17). بيروت/ القاهرة: دار الشروق.

29. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. 1394هـ / 1974 م. الإتقان في علوم القرآن. (د.ط). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

30. شرف الدين، جعفر. (1420هـ). الموسوعة القرآنية خصائص السور، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي. (ط1). بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

31. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (1419هـ / 1999م). إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول. تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية. (ط1). دار الكتاب العربي.



32. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (1419هـ / 1999م). إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول. تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية. (ط1). دار الكتاب العربي.

33. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم. (د.ت). المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. (ط2). القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

34. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر. (1420هـ /2000م). جامع البيان في تأويل آي القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. (ط1). مؤسسة الرسالة.

35. عبد الرحيم صافي، محمود. (1418هـ). الجدول في إعراب القرآن الكريم. (ط4). دمشق: دار الرشيد.

36. عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. (1413هـ/1992م). دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر. (ط3). القاهرة: مطبعة المدني.

37. عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. (1429هـ / 2008م). دَرْجُ الدُّرر في تفسير الآي والسور. تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وإياد عبد اللطيف القيسي. (ط1). بريطانيا: مجلة الحكمة.

38. عبد الكريم زيدان. (1421هـ / 2001م) أصول الدعوة. (ط9).

39. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. (1420هـ). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). (ط3). بيروت: دار التراث العربي.

40. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. (د.ت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. (د.ط). بيروت: المكتبة العلمية.

41. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. (1384هـ / 1964م). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. (ط2). القاهرة: دار الكتب المصرية.

42. القيسي القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار. (1429هـ / 2008م). الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه. وجمل من فنون علومه. تحقيق: الشاهد البوشيخي. (ط1). جامعة الشارقة.



43. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور. (1426هـ / 2005 م). تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة). تحقيق: مجدي باسلوم. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

44. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري. (د.ت). النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

45. محمد النملة، عبد الكريم بن علي. 1420هـ / 1999م). المهذب في علم أصول الفقه المقارن. (ط1). الرياض: مكتبة الرشد.

46. مرتضى الزَّبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين. (د.ط). دار الهداية.

47. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. (د.ت). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

48. مسلم، مصطفى. (1426هـ / 2005). مباحث في إعجاز القرآن. (ط3). دمشق: دار القلم.

49. الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري. (2001م). تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب. (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

50. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. (1412هـ / 1992م). أسباب نزول القرآن. تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. (ط2).الدمام: دار الإصلاح.

51. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. (1415هـ /1994م). الوسيط في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.



دليل النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تعتمد مجموعة مجلات **المعهد العلمي للتدريب المتقدم والدراسات (معتمد)** أعلى المعايير الدولية التي من شأنها رفع مستوى الأبحاث إلى مستوى العالمية، وتضيف للبحث في حال إلتزام الباحث بها ترقية حقيقة لمستوى بحثه، وكذلك تعزز من خبرته في مجال **النشر العلمي**؛ إن جملة المواصفات الواردة في هذا الدليل التوجيهي؛ تضفي على أبحاثنا شكلاً علمياً يعزز من مضمونها ويخرجه إلى القارئ بصيغة تتناسب مع تطور **ضوابط النشر العلمي** ومعارفه، مما يحقق مواكبة فاعلة لمستجدات النشر المعرفي.

تعليمات للباحثين:

1- ترسل نسختين من البحث **لمدير المجلة على الإيميل:** jistsr@siats.co.uk تحت برنامج Microsoft Word واحدة بصيغة (Word) ، وأخرى بصيغة (PDF).

2- يُكتب البحث بواسطة الحاسوب (الكمبيوتر) بمسافات (**واحد ونصف**) بين الأسطر شريطة ألا يقل عدد الكلمات عن **3000** و لايزيد **عن5000** كلمة، حجم الخط 16 للغة العربية, (**Traditional Arabic**) و **12** للغة الإنجليزية (**Time New Roman**)، بما في ذلك الجداول والصور والرسومات , ويستثنى من هذا العدد الملاحق والإستبانات.

3- واجهة البحث: يُكتب عنوان البحث باللغتين **العربية والإنجليزية**، وأسفل منه تكتب أسماء الباحثين كاملة باللغتين **العربية والإنجليزية**، كما تذكر عناوين وظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، وسنة النشر بالهجري والميلادي.

4- العناوين الرئيسية والفرعية: تستخدم داخل البحث لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، وبتسلسل منطقي، وتشمل العناوين الرئيسية: ملخص البحث وتحته الكلمات المفتاحية، (**ABSTRAC** وتحته **KEYWORDS**) المقدمة، البحث وإجراءاته، النتائج، المصادر والمراجع.

5- يرفق مع البحث ملخص **باللغة العربية** وآخر **باللغة الإنجليزية**، على ألا تزيد كلمات الملخص على (**150**) كلمة، وتكتب بعد الملخص الكلمات المفتاحية **KEYWORDS** على ألا تزيد على (**5**) **كلمات**، مع ملاحظة إشتمال الملخص على أركانه الأربعة: المشكلة والأهداف والمنهج والنتائج.

6- يقسم البحث إلى مباحث ومطالب تُكتب وسط الصفحة بخط سميك.

7- تطبع الجداول والأشكال داخل المتن و ترقم حسب ورودها في البحث، ويكون لكل منها عنوان خاص، ويشار إلى كل منها بالتسلسل، وتستخدم الأرقام العربية (1, 3,2...) في كل أجزاء البحث.

8- كل بحث يجب أن يشمل على مانسبته 20 % من المراجع الأجنبية ويستثنى من ذلك أبحاث الشريعة واللغة العربية.

9- مدة تعديل البحوث: يعطى الباحث مدة أقصاها **3 أشهر** لإجراء التعديلات على بحثه إن وجدت، وللمجلة الحق بعد ذلك في رفض البحث رفضا نهائيا حال تجاوز الباحث المدة المحددة للتعديل.

10- يلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التقويم في حال طلبه سحب البحث ورغبته في عدم متابعة إجراءات النشر.

11- لا تجيز المجلة سحب الأبحاث بعد قبولها للنشر بأي حال من الأحوال ومهما كانت الأسباب.

12- **(التوثيق) قائمة المراجع:**

- تهمش المراجع في المتن باستخدام الأرقام المتسلسلة، وتبين بإيجاز في قائمة بآخر البحث بحسب تسلسلها في المتن؛ على أن توضع قبل قائمة المصادر والمراجع.
- وكيفية هذا الإجراء: أن يقوم الباحث بوضع حاشية سفلية بطريقة إلكترونية لكل صفحة كما هو معهود، ثم بعد أن ينتهي الباحث من بحثه كاملا يقوم بنقل هذه الحواشي مرة واحدة إلى نهاية البحث عن طريق اتباع طريقة ذلك من خلال هذا الفيديو التوضيحي (*تعلم وورد: نقل الحواشي السفلية الى آخر صفحة دفعة واحدة*)

t=87s&v=al_g_hAweCU?https://www.youtube.com/watch

https://youtu.be/al_g_hAweCU

للإشارة إلى المرجع في الموضع الأول، هكذا:

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (2007). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 2. ج: 2، ص: 145.

وفي المواضع الأخرى له يشار إليه، هكذا:

ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. مرجع سابق، ج: 3، ص: 150.

- توثق **المصادر والمراجع** في قائمة واحدة في نهاية البحث، وترتب هجائياً حسب الاسم الأخير للمؤلف، وذلك باتباع الطريقة التالية:

الكتاب لمؤلف واحد:

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (2007). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 2.

للمؤلف أكثر من كتاب

ابن خالويه، الحسين بن أحمد الهمذاني. (1979). الحجة في القراءات السبع. بيروت: دار الشروق.

ـــ. (1992). إعراب القراءات السبع وعللها. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الكتاب لمؤلفَين اثنين:

البغا، مصطفى ديب. مستوى، محي الدين. (1996). الواضح في علوم القرآن. دمشق: دار العلوم الإنسانية.

الكتاب لثلاث مؤلفين أو أكثر:

محمد كامل حسن وآخرون. (2005). التجديد. كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية.

المقالة في مجلة علمية:

راضي، فوقية محمد. (2002). "أثر سوء المعاملة وإهمال الوالدين على الذكاء". المجلة المصرية للدراسات النفسية. المجلد: 12. العدد: 36. ص 27-36.

المقالة في مؤتمر:

عبد الجليل، محمد فتحي محمد. (2018). "أثر المرأة في الدعوة والتربية في ضوء القرآن الكريم". المؤتمر الدولي للقرآن الكريم في المجتمع المعاصر. ماليزيا: جامعة السلطان زين العابدين.

الرسالة العلمية:

عبد الجليل، محمد فتحي محمد. (2016). "منهج ابن زنجلة في توجيه القراءات في كتابه حجة القراءات". رسالة دكتوراه، جامعة السلطان زين العابدين.

المؤلفات المترجمة:

القاضي، عبد الفتاح. (د. ت). تاريخ المصحف. (تر: إسماعيل محمد حسن). ترنجانو: المؤسسة الدينية.

13- عند قبول البحث للنشر يوقع الباحث على انتقال حقوق ملكية البحث الى إدارة معتمد

14- لهيئة التحرير الحق بإجراء أي تعديلات من حيث نوع الحروف ونمط الكتابة، وبناء الجملة لغوياً بما يتناسب مع نموذج المجلة المعتمد لدينا.

15- قرار هيئة التحرير بالقبول أو الرفض قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها في عدم إبداء الأسباب.

16- يمكن للباحث الحصول على بحثه المنشور والعدد الذي نشر فيه بحثه من موقع المجلة إلكترونياً

ملاحظة: عزيزي الباحث إن هذه المواصفات مأخوذة عن لوائح دولية مُعتمدة، وهي تعزز من مستوى بحثك من حيث الشكل الذي لا يقل أهمية عن المضمون، وإن أية مخالفة لها ستكلفك تأخيراً إضافياً يمكن تجنبه في حال الالتزام بها.

آليات النشر والإحالة:

بعد تسلم إدارة المجلة نسخة البحث من الباحث، تقوم بإحالتها إلى المحكمين، وتلتزم بمدة لا تزيد عن **30** يوماً لتزويد الباحث بتقرير عن بحثه يتضمن الملاحظات، بعدها يمهل البحث مدة لا تزيد عن **90 يوماً** (**3 أشهر**) للأخذ بالملاحظات .

ينشر البحث بعد أول أو ثاني عدد يعقب تاريخ إصدار خطاب قبوله للنشر على الأكثر، حسب أولوية الدور وزخم الأبحاث المحالة للنشر.

Content